# ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 35 - العدد 1008 - الجمعة 19 ذو الحجة 1423 هـ - الموافق 21 فبراير 2003


بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

## المثل العليا تتحقق بالإيمان والعمل

لقد انزلق البعض ممن يدعي الإسلام – عن الجادة السوية والمنهج السليم الموصل إلى ما فيه صلاح الحال والمآل فكان من مخلفات هذا الانزلاق الذي أصاب جسم الأمة الإسلامية أن أظهر مفاهيم برزت من خلالها فرق وطوائف بعد الرسول صلى الله عليه وسلم تسبب ظهورها في تشرذم الإسلام وضعفه وتصادم آرائه مما جعل المسلمين تتجاذبهم تيارات مصنوعة زرعت في داخل هذا المجتمع الإسلامي البريء لكي ينشغل في نفسه بطفيليات تلهيه عن العمل والتضامن لتحقيق تقدمه وازدهاره ونشر عقيدته السليمة المبنية على الإيمان والعمل، وحب الصالح العام لجميع أفراد الإنسانية. فلقد بين الله لنا في كتابه العزيز أن فصيلة الإنسان من بين المخلوقات التي لا يصلحها إلا الإيمان والعمل وإلا فهي في خسران دائم... قال الله تبارك وتعالى : ''والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر'' فهذا التوجيه الرباني علينا أن نأخذ به عباد الله ونطبع به معتقدنا وعملنا، إننا نرى في هذه السورة القرآنية أن الله جلت قدرته أقسم في صدرها بالزمن لنتنبه على قيمة مردودية العامل الزمني ولا نتركه يضيع ولنشغل الوقت الثمين بما هو أفضل ونجعل نصب أعيننا كتاب الله وسنة نبيه ونعمل بهما كما طبقهما سلفنا الصالح حرفيا، سلوكا، وأخلاقا، وعملا، وتواصلا، وتوجيها، فكانت بذلك أمة الإسلام المطبقة لما جاء به نبي الرحمة نبراسا وهاجا ومثلا يحتذى به فعمت دعوتها السليمة المبنية على الإيمان الصادق والعمل البناء في ظرف وجيز كثيرا من أقطار العالم ودخلتها الناس زرافات ووحدانا عن قناعة وصدق، فازدهر الإسلام في صدر الدولة الإسلامية لصدق دعاته قادة وشعوبا ولسلامة توجههم الإنساني الرحماني النبيل الذي بنوه في مسيرتهم الربانية على الإيمان الصحيح والعمل البناء وبتنفيذهم لما جاء في سورة العصر وغيرها من آيات الكتاب الموجهة للإيمان الصادق لما بينت سنته صلى الله عليه وسلم الصحيحة بهذا التوجه الموفق نال المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام ما يصبو إليه من انتشار الدعوة إلى الله بالتي هي أحسن والعمل على تقدم هذه الأمة الإسلامية الرحمانية بجميع شرائحها، لكون هذا المجتمع الإسلامي النقي في سلوكه المستقيم في معتقده السليم لا ظلم فيه ولا إرهاب، ولا رهبانية، ولا هضم لحقوق الغير، إنه مجتمع يدين بدين الرحمة ويسعى به معتقده السني إلى عبادة الله جل وعلا والعمل على نفع البلاد والعباد والإيمان بما آمن به نبي الرحمة وشفيع الأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: قال الله تبارك وتعالى: ''آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون كل آمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير'' سورة البقرة الآية:33.284

**بقلم لارباس الشيخ ماء العينين**
**الأمين العام بالنيابة لرابطة علماء المغرب**

## إنما يخشى الله من عباده العلماء

نفتتح هذا الموضوع اليوم بهذه الآية الكريمة من سورة فاطر لعل معالي المستشار السابق يتذكر ويعود للاحترام الواجب للعلم والعلماء في قوله وسلوكه.

نقول هذا بعد اطلاعنا على حديث صحفي في إحدى الجرائد الاسبوعية، أدلى به رجل محسوب على العلماء بحكم حصوله على العالمية، من جامع القرويين في سالف الزمن، وذلك بمناسبة تغيير رئيس اللجنة الاستشارية المكلفة بالنظر في تعديل بعض فصول مدونة الاحوال الشخصية.

لقد وصف معالي المستشار السابق بعض أعضاء اللجنة من العلماء ذكورا وإناثا بأنهم متعصبون، وعليهم أن يراجعوا طريقة عملهم أو يطلبوا إعفاءهم من مهمتهم. نعوذ بالله من السلب بعد العطاء.

إن معالي المستشار السابق يعلم أن أعضاء اللجنة رجالا ونساء هم من أهل العلم الراسخ ومنهم شيوخه في القرويين ولايستطيع أن يجادلهم أو يتحاور معهم بالحق والإنصاف، لأن ماعنده من العلم هم الذين لقنوه له، ولو أنه لم يحسن التصرف فيه أحيانا، ودخل مع العاقين لشيوخهم بما وصفهم به. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كيف يصف معاليه أن المدونة تتوفر على مايتنافى مع واجب رفع الضرر والظلم والحيف، و هو الذي مارس أكثر من ثلاثة عقود مهام سامية في تدبير الشأن العام سواء كوزير أو كرئيس لمجلس النواب أو مستشار لجلالة الملك الراحل، مسموع الكلمة نافذ الرأي، كما أنه أشرف على التعديل الأخير للمدونة لسنة 1993، فلماذا وافق على ترك مافيه ظلم وحيف وضرر بالأسرة، إنه كان يجتمع مع العلماء الذين اختارهم جلالة الملك الحسن الثاني رحمه الله للنظر فيما يجب تعديله، ولم يكن يمنعه مانع لقول ما يقول الآن، وقد اجتهدت اللجنة برئاسة معاليه، وعدلت بعض الفصول بما تراه تبعا لاجتهادات بعض فقهاء المذاهب السنية، وخرجت عن بعض ضوابط المذهب المالكي مراعاة للظروف الخاصة ولم تخرج عن المنهج الفقهي الاسلامي، فلماذا وافق معاليه على مايعتبره ضررا وظلما وحيفا وقتها؟.

ولم يطعن في العلماء المشاركين أو المتابعين بشيئ حتى ظهر له مايقوله اليوم في اللجنة الحالية، وأخطر ماورد في تصريح معالي المستشار السابق ادعاؤه أن من علماء اللجنة، من لا يعرف حتى تحرير رسالة، إنها قلة أدب مع العلم والعلماء، إن اختيار العلماء أعضاء اللجنة تم من طرف أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس أعزه الله وهو أعرف الناس بعلماء بلده، وإذا كان استشار بعض العلماء من خاصته ولم يستشر الآخرين، فالأمر يعود إليه حفظه الله وجزاه خيرا عن العلم والعلماء، ونحن نعتبر أن أمير المومنين أحسن الاختيار من الرجال والنساء، وأبعد عن اللجنة أمثال معالي المستشار السابق لأسباب يعرفها هو ويعرفها معه الذين أوتوا العلم، فمن يهيين العلماء ويصفهم بأنهم لايعرفون حتى كتابة رسالة لايستحق أن يسمع إليه أو يلتفت إلى رأيه، كيف لا وهو يطعن فيمن اختارهم أمير المؤمنين، وهو يعرف كفاءتهم العلمية وقدرتهم على استنباط الاحكام من أصولها الشرعية، إن أولائك العلماء وجهوا ومازالوا يوجهون الشباب ويربون أجيال العلماء الجدد، ويراقبون القضاء فيما يصدر عنه من أحكام لتقويمها إن كان فيها خطأ. وليسوا من لايعرف تحرير رسالة، فعلى معالي المستشار السابق أن يعتذر عما صدر منه حتى لا يبقى وحده الذي في يعرف تحرير الرسائل في هذا البلد الذي صارت بذكر علمائه الركبان.

يقول الله تعالى: ''إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء'' صدق الله العظيم وإلى حديث آخر عن العلم والعلماء إن شاء الله.

**ميثاق الرابطة**

## قراءة في كتاب «التنصير : هذه الوثنية الخفية»

ولاية المظالم في الحكومة الإسلامية

اتباع شرع الله كمال الإيمان

العلاج الجنيني والحكم الشرعي

# ولاية المظالم في الحكومة الإسلامية

## الحلقة الثانية

إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

### القضاء والمظالم

وظيفة المظالم لها ارتباط وثيق بولاية القضاء، وهي إحدى الوظائف الأربع التي اعتمدتها نظمُ الحكم في الدول الاسلامية المتعاقبة وهي: القضاء، والمظالم، والحسبة ونقابة الاشراف في العهود المتأخرة.

فوظيفة القضاء تفصل في النزاعات الشرعية الدينية بوجه عام، في حين أن ولاية المظالم تعتبر محكمة عليا لتأديب كبار الموظفين والمتسلطين الذين يعتبرون أنفسهم فوق القانون، أو أن القانون لايطبق عليهم، وتأتي منزلة ولاية الحسبة واسطة بين الولايتين القضاء والمظالم، وأحكامها واسطة بين أحكامهما، وكلاهما يهدف لإيقاف الاعتداء على حقوق الناس، وإلى كبح أطماع الشريهين الذين يريدون أن يتوصلوا إلى أكل أموال الناس بالباطل، دون مراعاة لما هو حلال أو حرام.

فالحسبة تقف في وجه أطماع المعتدين من التجار، وأصحاب الفنادق والمطاعم والحرفيين، وتراقب التعامل بين الناس فيما يحتاجون إليه من ضروريات حاجاتهم في حياتهم اليومية، ومرافقهم العامة، كالأسواق والدكاكين والمقاهي والشوارع والحمامات... وما إلى ذلك من مراقبة الأسعار، والمكاييل والموازين، والغش والتدليس في الأطعمة، وفي سائر المبيعات، وتعاقب على التماطل في أداء الديون التي على الموسورين والأغنياء...

وأعمال الحسبة تدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قصد نشر الثقة بين الناس، وإقامة مجتمع سليم مبني على الصدق في التعامل، وسيادة الجودة في العمل، والاتقان في الصنائع...

وأحكام الحسبة قاصرة عن أحكام القاضي، وهي لاتتدخل في الدعاوي الخارجة عن ظواهر المنكرات، ولاتتناول إلا الحقوق المعترف بها، فالمحتسب ليس من شأنه أن يسمع بينة على إثبات حق، ولا أن يحلف أحدا على نفي حق، بينما القاضي يسمع البينات، ويحلف الخصوم إن اقتضى الحال ذلك.

قال علماؤنا رحمهم الله: تشبه الحسبة ولاية المظالم في ارتكازها على الرحبة والقوة والصرامة، وفي تطلع كل منهما إلى الوقوف في وجه البغي والعدوان، وقالوا: "النظر في المظالم يكون لما يعجز عنه القضاة، والنظر في الحسبة يكون لما يترفع عنه القضاة، وإذا جاز لولي المظالم أن يحكم، فإن والي الحسبة يأمر وينهى من غير أن يحكم.

### اختصاصات ولي المظالم:

وبعد هذا نورد ماقاله العلماء في اختصاصات ولي المظالم:

من المعلوم أن ولاية المظالم جعلت لقمع الظلم ونصر المظلوم وهي ذات اهتمامات متعددة حصر العلماء أهمها في عشرة أمور:

1. نظر والي المظالم في تعدي الولاة والعمال على الرعية، ولا يتوقف ذلك على التظلم والشكاية، بل عليه معرفة أحوال العمال وتصرفاتهم، فيشجع المنصف، ويرد المتعسف، ويعزل الجائر والفاجر. واستطلاع أحوال العمال قام به عمر بن الخطاب (ض) كما سبقت الاشارة إلى ذلك.

2. النظر في تعدي عمال الصدقة. وهم الذين يجمعون الزكوات من الناس، ينظر كيف يأخذون، وكيف يتصرفون.

3. مراقبة كتاب الدواوين من حيث التحريف أو التزوير أو استيفاء المضمون...

4. تظلم الأجراء بأرباب المعامل والمصانع وهل يستوفون أجورهم كاملة، ورواتبهم من غير تأخير.

5. رد الغصوب، إما من ولاة الجور، أو من ذوي السلطة والنفوذ...

6. الاشراف على أمر الأوقاف والاحباس العامة والخاصة، وعليه تفقد أحوال الاوقاف العامة وإن لم يتظلم فيها متظلم، أما الخاصة فلا ينظر فيها إلا بعد تظلم أهلها.

7. النظر فيما عجز القضاة عن تنفيذه من أحكامهم، لصولة المحكوم عليه، أو مكانته وعلو قدره، فيكون النظر في أمره لينفذ عليه الحكم بالقوة.

8. ماعجز عنه المحتسبون فيما يتعلق بوظيفتهم من المصالح العامة، فإنه يرجع إلى والي المظالم لايستعمل نفوذه وليحمل الممتنع على الانقياد.

9. مراعاة الشعائر الدينية كإقامة الجمع والأعياد، ومايتعلق بترتيبات أداء فريضة الحج.

10. الحكم بين المتنازعين، ويجري في حكمه على مقتضى الحق، ولايحكم إلا بما يحكم به القضاة حسب القواعد الشرعية المستوحاة من مصادر التشريع الاسلامي.

ومعناه أن والي المظالم كالقاضي إلا أنه في التصرف أوسع، وفي الجانب أقوى وأمنع.

وبهذا ندرك أن ولاية المظالم لها شأن كبير في نظم الحكم الاسلامية وتعد من الولايات الكبرى في اقامة أسس العدل وقواعده، وفي إنصاف المظلوم، وردع الظالم مهما كانت سطوته ومكانته، ولقد ضرب في ذلك العمران: عمر بن الخطاب، وعمر بن عبد العزيز أروع الأمثلة، وكان علي بن أبي طالب (ض) حريصا كل الحرص على إقامة العدل وأخذ حق المظلوم.

وعبر التاريخ الاسلامي قامت ولاية المظالم بدورها كأهم مؤسسة لحفظ حقوق العباد، وردع الظالم، والوقوف إلى جانب المظلوم، ليسعد الناس بالعدل الذي تحث عليه الشريعة الاسلامية، وتعتبره ركنا من أقدس أركانها.

وبعد هذا نلقي نظرة موجزة، أو بعبارة أدق، اشارة عابرة عن ولاية المظالم بالمملكة المغربية.

### نظرة عن ولاية المظالم بالمغرب

المغرب من الدول الاسلامية التي أولت عناية كبيرة لولاية المظالم ابتداء من العهد الادريسي إلى عهد الدولة العلوية الشريفة، مرورا بالمرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين... وكان الأمراء والخلفاء والملوك يتولون بأنفسهم شؤون المظالم، وتؤكد رسالة أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين إلى قاضي ملقة عنايته باقامة العدل ورد المظالم ، بعد وصول جماعة من أهل الاندلس إلى مراكش تشتكي بما لحق أهل البلاد من الظلم،وقام القاضي بما يلزم في رفع الظلم المشتكي به وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة تحرك الأمير المرابطي علي بن يوسف للمرة الثانية إلى الاندلس ووصل بجيوشه إلى قرطبة، وأتته وفود الاندلسيين للسلام عليه فسألهم عن أحوالهم، وثغورهم بلدا بلدا، فأخبروه، فعزل القاضي أبا الوليد بن رشد عن قضاء قرطبة، وولى مكانه أبا القاسم بن حمدين، لان ابن رشد طلب اعفاءه لعجزه عن تنفيذ بعض الاحكام، ومكث بالاندلس سنتين تفقد فيها أحوال الرعية وقام بحملات جهادية ضد الصليبيين الذين اعتدوا على أطراف البلاد هنا، وهناك، فردهم على أعقابهم منهزمين.

وفي العهد الموحدي تصدى عبد المومن بن علي الخليفة الموحدي للظلمة والمنحرفين في امبراطوريته الشاسعة الاطراف، ويذكر المؤرخون وغيرهم قصة التاجر البجائي الذي ضاعت منه بعض بضائعه فلما عرف أسباب الضياع ومن كان السبب في ذلك، رد على التاجر قيمة بضاعته، وقال له هذا حقك، وبقي حقي وحق الله، وأحضر من تعلقت بهم التهمة من مشايخ مصمودة وأمر بقتلهم زجرا لكل من سولت له نفسه التعدي على حقوق الناس.

ولعبد المومن رسالة طويلة بعثها لاهل الاندلس وطلب أن تقرأ على المشايخ والطلبة والاعيان والكافة، وهي رسالة تعتبر دستورا موجها لكل من له مسؤولية، من قضاة وحكام وأمراء... اعتمد فيها على النصوص من كتاب الله وسنة رسوله، وعلى نصائح الإمام المهدي بن تومرت، والرسالة في أسلوب ترهيبي شديد اللهجة، ومن فقراتها: "اللهم إنا نشهد أن سبيلنا سبيلك، وإنا نستعيذ مما استعاذ منه محمد رسولك (ص) إنه قال: أعوذ بالله من المغرم والمأثم، تنبيها على ما في إغرام الناس من الظلم، ولئن نقل إلينا . والله الشاهد . أن نوعا من هذه الأنواع المحرمة، أو صنفا من تلك الأصناف المظلمة يتولاها أحد هناك من البشر، أو يأمر بشيء من ذلك الفعل المستنكر، لعاقبته بمحو أثره عقابا يبقى عظة لمن اتعظ، وعبرة لمن تنبه لزاجر الحق واستيقظ..."

والرسالة طويلة تفصح عن عزم عبد المومن على الوقوف في وجه الظلم بجميع أنواعه وأصنافه.

وفي عهد المرينيين والسعديين كانت المظالم تعرض على السلطان، وفي العهد السعدي كان والي المظالم من جملة الوزراء يختار من كبار العلماء ، كالعلامة أبي عمران بن مخلوف الكنسوسي في أيام الغالب بالله السلطان عبد الله السعدي، وكان السلطان أحمد المنصور يعقد للمظالم مجلسا من القضاة والفقهاء يرأسه بنفسه، ويصدر الحكم باسمه، وقد ذكر محمد العربي الفاسي أن المنصور لما قدم إلى فاس سنة 1011هـ تلقى الشكاوي بالمظالم، وألف مجلسا بحضرته من قضاة وفقهاءمراكش وفاس، وكان من جملتهم قاضي فاس ابن أبي نعيم، وقاضي شفشاون محمد بن عرضون، والامام القصار، وابن عمران، وأصدر هذا المجلس أحكاما منها: قبول قول أهل المقتول فيما ضاع له، فثبت هذا الحكم وصار معتمدا عند القضاة والمفتين، وجرى به العمل.

ومعروف عن المنصور أنه كان ينتقم من الظلمة انتقاما شديدا، ولايسمع شفاعة فيهم.

وفي عهد الدولة العلوية الشريفة أصبح يتولى أمر المظالم وزير يعرف بوزير الشكايات، يرفع ملخصها للسلطان ليوقع جنابه عليها بالحكم، وينفذ أمر السلطان.

واهتم المولى إسماعيل بأمر المظالم وعين لها وزيره الأحمدي والفقيه عبد الله الروسي.

واهتم سيدي محمد بن عبد الله بشؤون العدل والقضاء وبتبسيط مسطرة الحكم، وأمر المفتين بالابتعاد عن خلافات المتأخرين، وكان يعين على ولاية المظالم أحد كبار الفقهاء من علماء الشريعة، وعمل على محاربة ظلم الولاة الذين كثرت شكايات الناس بهم، مثل قائد الغرب الحبيب المالكي، الذي عاقبه عقابا شديدا وغيره، واهتم سيدي محمد بن عبد الله بنقابة الأشراف، وأمر بوضع دواوين النسب الشريف، ومن ذلك ماألفه وزيره محمد الصادق بنريسون: "فتح العليم الخبير في النسب العلمي بأمر الامير"

ونقابة الأشراف اهتم بها المولى اسماعيل من قبل، وزاد الاهتمام بها في عهد سيدي محمد بن عبد الله، بسبب ادعاء كثير من الناس النسب الشريف، ولم يكونوا من أهله، وأصبح دور النقباء ذا أهمية في تمييز المنتسب من غيره.

ومضى الأمر على العناية بشؤون العدل في عهد المولى سليمان، وعهد المولى عبد الرحمن بن هشام، وسيدي محمد بن عبد الرحمن، والمولى الحسن الأول، والمولى عبد العزيز، والمولى عبد الحفيظ، والمولى يوسف، وسيدي محمد الخامس، وجلالة الملك الحسن الثاني، رحم الله الجميع.

وهاهو سيدي محمد السادس حفظه الله وأيده، يعمل على بناء صرح العدالة ببلادنا، ويعمل على إنشاء المؤسسات القانونية للدفاع عن حقوق الانسان، وعمل حفظه الله على إحياء ولاية المظالم، وهذا مما يدل على حرص جلالته على إقامة المؤسسات الضامنة لرفع الظلم، وسيادة الحق والقانون.

الوثاق

# زيادة لفظ السيادة للرسول (صلى الله عليه وسلم)

**سئل الشيخ سيدي عبد الكريم السرغيني عما هو حاصل:**
**هل الأولى في الصلاة على النبي (ﷺ) الاقتصار على الرواية، أو زيادةلفظ السيد، وعلى الزيادة هل يثاب فاعله أم الثواب مقصور على الرواية؟ ولما وقف بعض المحققين على جوابه لخص ماحاصله، وكتب عليه.**

■ الأستاذ : إدريس كرم

الحمد لله، حاصل هذا الجواب، تفضيل الإقتصار على الرواية على زيادة لفظ السيد في الصلاة على النبي (ﷺ)، واستظهر على ذلك بإسقاط ذلك من لفظ (ﷺ) حين أجاب الصحابة إذ سئل عن كيفية الصلاةعليه، وباقتصار الصحابة (ض) عنهم على اللفظ المروي عنه عليه الصلاة والسلام، وأنه لم يرد زيادة لفظ السيد في رواية، وعلى اتباع الرواية فقط يحصل الثواب الوارد في الصلاة عليه (ﷺ) وأنه لو كان مندوبا لبينه لأنه في مقام التشريع، وأن في ذلك الخروج من الخلاف الوارد بين العلماء في أفضلية امتثال الأمر أو ارتكاب الأدب، وأن النووي وزروقا قالا إن الصلاة عليه (ﷺ) بما ورد أفضل من غيرها، وأن ماذكره الحطاب في شرح المختصر وصاحب القاموس والبرزلي وابن عبد السلام موافق لهذا.

❖❖❖

أقول وبالله أستعين أن قوله (ﷺ) في جواب سؤالهم قولوا كذا، اذ لايلزم منه أنه لايتادى امتثال الأمر إلا به، لأن ما كان جواب سؤال لايمنع من غيره، كما تقرر في علم الأصول، ولذا اقتصر علماء الإسلام أول تآليفهم على ما يفيد تعظيمه لحصول الإمتثال به، ولم يأتوا بالألفاظ المروية عنه وذلك مشهور في كتب الحديث وغيرها، وقد أشار إلى هذا الحمد أول جمع الجوامع، واستعمل الإمام العارف مولانا عبد السلام بن مشيش صلاة مخالفة لسائر الروايات لتحققهم حصول الإمتثال بذلك، وعلمهم حصوله بكل مايدل على التوقير والتعظيم، واقتصارالصحابة (ض) على الألفاظ المنقولة عنه لايمنع من الغير، لأنهم قصدوا أداء ما سمعوا منه وماجيئ به لغرض لايمنع من غيره أيضا كما تقرر في علم الأصول.

❖❖❖

وقول النووي وزروق: والصلاة عليه بما ورد عنه (ﷺ) أفضل ، لايمنع زيادة لفظ إذ لم يصرحا به، لأن معنى كلامهما أن الصلاة عليه (ﷺ) بالألفاظ الواردة عنه أفضل من اختراع ألفاظ أخرى ، وهو مسلم، ولاشك أن من أتى باللفظ المروي وزاد لفظ السيادة أتى بما روي عنه ممتثلا قوله تعالى:(لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) متخلقا بقوله تعالى: "ياأيها النبي، ياأيها الرسول، قال عياض في الشفا معنى الأية الأولى يجب أن يكون الدعاء له (ص) مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض، وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفراني وشيوخنا، وبه قال أبو عمر بن عبد البر، ودليل ارتكاب الأدب مقدم يتعلق بجنابه (ﷺ)، تقديره (ص) لأفضل هذه الأمة بعد نبيها أبي بكر الصديق (ض) إذ قال له ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله (ﷺ) في جواب قوله (ص) ياأبا بكر مامنعك أن تثبت إذ أمرتك، وقوله إن الثواب لايحصل إلا لمن صلى عليه بالصلاة الواردة عنه ممنوع، لأن الثواب مرتب على تعظيمه وتوقيره بكل مادل على ذلك، ولم يرد التعبد بالألفاظ إلا في كتاب الله.

ولهذا حذف متعلق الفعل، لأنه من إمارات العموم في قوله (ﷺ) من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرا، وقد تعددت الرواية بهذا المعنى واختلفت، وليس في واحدة قصد الثواب على الصلاة باللفظ المروي، وليست هذه المسألة من المقادير الشرعية التي قرنت ثمراتها بالكمية الواردة، كزكاة الفطر، والباقيات الصالحات، لأن المقادير كميات، بينت بكلام لم يقع جواب سؤال، نعم منها ماورد في الصلاة عليه وعلى آله بعد صلاة عصر يوم الجمعة،وماورد في الفدية كما يأتي كذا لتوهم.

وقوله إذ لو كان الأدب مندوبا بالبينة لأنه في مقام التشريع، وقد بينه القرآن وتقديره (ﷺ) وكفى به بيانا، وقوله أن ماذكره الحطاب عن المنقول عنهم موافق غير موافق، لأن الأبر ممن يستحسن زيادة لفظ السيد، ونصه مايستعمل من لفظ المولى والسيد في الصلاة على النبي (ﷺ) حسن وان لم يرد، والمستندماصح من قوله انا سيد ولد آدم، وابن عبد السلام طلب تاديب من قال، لايقولها في الصلاة، وأن الصلاة تبطل بها، فتغيب حتى شفع فيه.

وتأمل هل بين قول هذا الخبيث وقول من قال لا من زادها في لفظه على اللفظ المروي فرق، ويظهر أن تقدير هذا أحق، والبرزلي قال فيمن ادعى ذلك أنه أجهل الجاهلين، وصاحب القاموس اختار ترك الزيادة في الصلاة، والإتيان بها في غيرها قال الحطاب: والذي يظهر لي وأفعله في الصلاة وغيرها، الإتيان بلفظ السيد والله أعلم.

❖❖❖

وقوله إذا لم يرد زيادة السيد في رواية مردودا، فما رواه عياض في الشفا ونصه: وعن ابن مسعود (ض) أنه كان يقول إذا صليتم على النبي (ﷺ) فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لاتدرون لعل الله يعرض عليه، وقولوا اللهم اجعل صلاتنا ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه به الأولون والآخرون الخ.

ودليل الخيرات مشحون بزيادة السيادة في الروايات التي ينقلها، وبما حدثناه شيخنا ومفيدنا سيد أهل زمانه، سيدي محمد بن أحمد المسناوي بما يرويه، اللهم صل على سيدنا محمد النبي الكامل وعلى آله وأصحابه، كما لا نهاية لكمالك وعد كماله.

وهذه صلاة مشهورة بين العام والخاص، وسمعنا منه أن الفدية بها سبع مرات، ولاسبيل لهذا إلا التوفيق.

❖❖❖

ومن ذلك ما للعارف بالله سيدي محمد بن ناصر في أجوبته ، ويستعمله في التلقين. اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم، وبما في الرصاع في كيفية الصلاة عليه (ص) يوم الجمعة بعد العصر اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، ثمانين مرة، وقوله أن المقتصر على الرواية المسقط للزيادة، يخرج من الخلاف الخ.

طلب الخروج متفق عليه، لكن كيف يمكن الخروج منه مع الاقتصار على أحد شقي الخلاف، ولم يستعمل قول من يفضل الأدب على الرواية، وإنما يحصله الإتيان بهما على المخالفة والمعاقبة.

والحاصل أنهما طريقتان محمودتان، مثاب مرتكبهما، وكلا وعد الله الحسنى، والذي أقول به وأفعله في الصلاة وغيرها، ارتكاب الأدب امتثالا للقرآن، وتخلقا به واقتداء بأبي بكر (ض) والله أعلم.

وكتب عبد الله سبحانه المرتجي عفوه وغفرانه عبد الرحمن بن ادريس الحسني.

❖❖❖

وبعد أن كتبت هذا بمدة وجدت للشيخ زروق في قواعده مثل ما لصاحب القاموس ونصه.

اختلف في زيادة سيدنا في الوارد وكيفية الصلاة عليه (ﷺ) والوجه ان يقتصر على لفظه حيث تعبد به، ويزاد حيث يراد الفضل في الجملة، ووجدت للعارف بالله سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي في حاشيته على دلائل الخيرات، بعد أن اختار طريق الأدب مؤيدا لها بامتناع سيدنا علي كرم الله وجهه مع أمره بذلك، وقد سئل السيوطي عن حديث لا تسيدوني في الصلاة، فأجاب بأنه لم يصح ذلك قال وإنما لم يتلفظ به النبي (ﷺ) كراهية للفخر ولهذا قال: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأما نحن فيجب علينا تعظيمه وتوقيره، ولهذا نهى الله أن ينادى باسمه كما ينادي بعضنا بعضا هـ ماقيده الشيخ المذكور.

❖❖❖

الحمد لله ما سطره العالم العلامة المشارك أعلاه من أن الأدب بالسيادة وكل ما بالتعظيم بالجناب الأرفع مستحسن، بدليل نصوص الأيمة من المتقدمين والمتأخرين، ممن جلب نصوصهم ، ففاعل ذلك في الصلاة وغيرها يثاب عليه، وهو عين الحق لاشك فيه، وذلك دليل على كمال المحبة جعلنا الله من أهلها، وكيف لا وهو عين الرحمة ممد الوجود وقطب الدائرة (ﷺ) وقد عظمه سبحانه في كتابه العزيز بما يدل على تعظيمه الغاية، حتى لا ينادي في القرآن باسمه تعظيما له، وناهيك بقضية الصديق وقضية سيدنا علي رضي الله عنهما، وقد اختار الامام الحطاب السيادة مطلقا، وان كانت الرواية طريقة أيضا.

❖❖❖

والحاصل أن ماسطره المجيب أعلاه الذي رد في جوابه الشريف على من وقعت عثرة بمنع طريق الأدب، وقصر الثواب على ترك السيادة هو عين الصواب دون كلام المردود عليه ولو علم النزر من مقداره صلى الله عليه وسلم ماوسع المردود عليه أن يفوه بما منع، جعلناه الله وإياكم ممن يجب النبي (ﷺ)، وكتب عبيد ربه وأسير ذنبه عبد القادر بن العربي أبو خريص خار الله.

❖❖❖

الحمد لله في تكميل الديباج في ترجمة الامام أحمد بن يونس بن سعيد القسنطيني بعد كلام مانصه وألف رسالة في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة على النبي (ﷺ) في الصالة وغيرها، توفي في سنة 878 وهو من أشياخ سيدي زروق والتتائي، وقد نقل عنه في باب الحج من شرحه على خليل، وكذا الشيخ الشريف نور الدين السمهودي هـ.

❖❖❖

كمل بحمد الله العظيم هذا التقييد المبارك، في رابع شوال الأبرك سنة ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وكل من اقتفى أثره من أمته، ونسأله تعالى أن يلهمنا رشدنا، ويقينا شر أنفسنا بمنه وكرمة آمين والحمد لله رب العالمين.

ح ع د:1755.

في حلال الحديث

# الحديث الخمسون: اتباع شرع الله كمال الإيمان

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

## نص الحديث:

**عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص (ض) قال: قال رسول الله (ص):(لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به".**

### تخريج الحديث:

أخرجه البغوي في شرح السنة(185/1)، والخطيب في تاريخ بغداد(369/4)، والهندي في كنز العمال(217/1)، والنووي في الأربعين وقال: حديث حسن صحيح، رويناه في "كتاب الحجة" بإسنادصحيح.

### سند الحديث:

أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص (ض)، من فضلاء الصحابة وعلمائهم وزهادهم وعبادهم، يصوم النهار ويقوم الليل، وكان من أكثر الناس أخذا للحديث والعلم عن رسول الله (ﷺ)، وقد عمي آخر عمره، وكان مع أبيه إلى أن توفي أبوه بمصر، ثم انتقل إلى الشام، ثم إلى مكة ومات بها سنة 65هـ، عن 72سنة، وروي عنه (ﷺ) 700حديثا.

### أهمية الحديث:

هذا الحديث يصلح أن يقال فيه أنه كل الإسلام لإفادته أن من كان هواه تبعا لجميع ما جاء به النبي (ﷺ)، فهو المؤمن الكامل، ومن أعرض عن جميع ماجاء به ومنه الإيمان، فهو كافر.

### مفردات الحديث:

"لايؤمن":لايكمل إيمانه، أو لايصح.

"هواه": ماتحبه نفسه ويميل إليه قلبه ويرغبه طبعه.

"تبعا": تابعا له بحيث اتباعه كالطبع له.

"لما جئت به":ما أرسلني الله تعالى به من الشريعة الكاملة.

### المعنى العام:

1. المسلم إنسان متكامل: المسلم إنسان تتكامل فيه جوانب الشخصية المثالية، فلا تعارض بين قوله وفعله، ولاتناقض بين سلوكه وفكره، بل هو إنسان يتوافق فيه القلب واللسان مع سائر أعضائه، كما يتناسق لديه العقل والفكر والعاطفة، وتتوازن عنده الروح والجسد، ينطق لسانه بما يعتقد، وتنعكس عقيدته على جوارحه، فتقوم سلوكه وتسدد تصرفاته، فلاتتملكه الشهوة، ولاتطغيه بدعة، ولا تهوي به متعة، منطلقه في جميع شؤونه وأحواله شرع الله تعالى الحكيم، وهذا مايقرره رسول الله (ﷺ) عندما ينصب لنا العلامة الفارقة للمسلم المؤمن فيقول: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به".

2. حقيقة الهوى وأنواعه: قد يطلق الهوى ويراد به الميل إلى الحق خاصة، ومحبته والانقياد إليه. ومنه ماجاء في قول عائشة (ض): ماأرى ربك إلا يسارع في هواك.

وقد يطلق ويراد به الميل والمحبة مطلقا، فيشمل الميل إلى الحق وغيره، وهذا المعنى هو المراد في الحديث.

وقد يطلق ويراد به مجرد إشباع شهوات النفس وتحقيق رغباتها، وهذا المعنى هو المراد عند إطلاق كلمة الهوى، وهو الأكثر في الاستعمال، وهو المعنى الذي تضافرت نصوص الشرع على ذمه والتحذير منه والتنفير عنه، إذ الغالب فيه أن يكون ميلا إلى خلاف الحق، وتحقيق مشتهيات الطبع دون مقتضيات الشرع، فيكون سبيل الضلال والشقاء. قال الله تعالى مخاطبا داود عليه السلام: (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) ص:26

3. اتباع الهوى منشأ المعاصي والبدع والإعراض عن الحق: فمن استرسل في شهواته، وأعطى نفسه هواها، جرته إلى المعاصي والآثام، وأوقعته في مخالفة شرع الله عز وجل، وفي الحقيقة: ما انحرف المنحرفون، وما ابتدع المبتدعون، ومازاغ الزائغون، وما أعرض الكافرون الفاسقون والمارقون، عن المنهج القويم والحق المبين، لعدم وضوح الحق أو عدم اقتناعهم به. كما يزعمون. فالحق واضح أبلج، والباطل ملتبس لجلج، وإنما بدافع الهوى المتبع، قال تعالى: (فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) سورة القصص/الآية:50.

وماوقع لأهل الهوى والضلال في وقتنا الحاضر من دعاة الانحلال والفسق والفجور، من الإباحيين ومن والاهم باسم حقوق الانسان، تارة وباسم حقوق الإنسان أخرى، وباسم الحداثة والعصرنة أو العصرانية ثالثة، إلا الشيطان والهوى، أما قضية الحلال والحرام في هذه القضية وغيرها، فهم ربما اعلم بها مني ومنك. أيها القارئ الكريم. والدليل على ذلك أن الشيطان من أعلم خلق الله، لكن هواه أضله عن السبيل، وجعله من الغاوين.

4 الهوى المتبع إله يعبد من دون الله عزوجل: إن العبادة هي الانقياد والخضوع، فمن انقاد لهواه وخضع لشهواته فقد أصبح عبدا لها، وإن الهوى والشهوات لاتزال بالإنسان حتى تتمكن منه وتسيطر عليه، فلايصدر في تصرفاته إلا عنها، ولايأتمر إلا بأمرها، وإن خالف فكره وعقله، وناقض معرفته وعلمه، وهكذا تجد عبدة الهوى يغمضون أعينهم عن رؤية الحق، ويصمون آذانهم عن سماعه،فلايعرفون استقامة ولايهتدون سبيلا، قال ابن عباس (ض): الهوى إله يعبد في الأرض، ثم تلا: (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) سورة الفرقان/الأية:43.وقال عليه الصلاة والسلام:"ماتحت ظل السماء إله يعبد أعظم عند الله تعالى من هوى متبع" أعظم: أي أكثر إثما لأنه أوسع شرا.

والإنسان بما منح من القوة العاقلة ومأأعطى من الاختيار والقدرة بملكه أن يخالف هواه ويسيطر على نوازع الشر ويكتبها، ويجاهد نفسه ويحملها على السمو في درجات الخير والتقوى فيبوئها المرتبة اللائقة بها من التكريم والتفضيل، فإن هو فعل ذلك كان سلوكه عنوان قوته العقلية وبشريته المثالية وإنسانيته المتكاملة، وإن هو انهزم أمام نوازع الشر واستسلم لهواه وانحدر في دركات الرذيلة فقد انحط بإنسانيته، وأسف بكرامته، فكان هذا عنوان حماقته وضعفه، قال الله تعالى:(قد أفلح من زكاها، وقدخاب من دساها) سورة الشمس/الأية:10. وقال عليه الصلاة والسلام: "المجاهد من جاهد نفسه، والعاجز من اتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني".

وأما مجاهدة النفس والتمرد على الهوى فهي نتيجة المعرفة الحقة بالله عز وجل، واستشعار عظمته وإدراك نعمته، ولايزال العبد يجاهد نفسه حتى ينسلخ كليا من عبودية الهوى إلى العبودية الخالصة لله عز وجل، ويكتمل فيه الايمان، ويثبت لديه اليقين، ويكون من الفائزين بسعادة الدارين، قال الله تعالى: (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هي المأوى) سورة النازعات/الأية:4140.

5 محبة الله تعالى ورسوله (ص): حتى يتحقق لدى المسلم أصل الإيمان، ويسير في طريق بلوغ كماله، لابد من أن يحب ما أحبه الله تعالى، محبة تحمله على الإتيان بما وجب عليه منه وما ندب إلى فعله، وأن يكره ماكرهه الله تعالى، كراهة تحمله على الكف عما حرم عليه منه وماندب إلى تركه، وهذه المحبة لما أحبه الله تعالى والكراهة لما كرهه،لاتتحققان إلا إذا أحب الله تعالى ورسوله حبا يفوق حبه لكل شيء، بحيث يضحي في سبيلهما بكل شيء ويقدمها على كل شيء.

وروى البخاري ومسلم عن أنس (ض) :قال رسول الله (ﷺ): "لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وولده وأهله والناس أجمعين".

6 . عنوان المحبة الموافقة والاتباع: المحبة الصحيحة تقتضي متابعة المحب لمن أحب، وموافقته فيما يحب ويكره، قولا وفعلا واعتقادا، قال الله تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله..)سورة آل عمران/الأية:31. فمن ترك مما يحبه الله عز وجل ورسوله (ﷺ)، وفعل شيئا يكرهانه، مع قدرته على فعل المحبوب وترك المكروه، كان في إيمانه خلل ونقص، عليه أن يسعى لإصلاحه وتداركه، وكانت محبته دعوى تحتاج إلى بينة.

7. حلاوة الإيمان: للإيمان أثرفي النفوس، وطعم في القلوب، أطيب لدى المؤمنين من الماء العذب البارد على الظمأ، وأحلى من طعم العسل بعد طول مرارة المذاق. وهذه المحبة وذاك الطيب، لايشعر بهما ولايجد لذتهما إلا من استكمل إيمانه، وصدقت محبته لله تعالى ولرسوله (ﷺ)، وأثمرت في جوانب نفسه، فأصبح لايحب إلا لله، ولايبغض إلا لله، ولايعطي إلا لله، ولايمنع إلا لله. روى البخاري ومسلم: عن أنس رضي الله عنه، عن النبي (ﷺ) قال: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر، بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار"حلاوة الإيمان: معناها اللذة في الطاعة.

8. الاحتكام إلى شرع الله عز وجل والرضا بحكمه: من لوازم الإيمان أن يحتكم المسلم إلى شرع الله عز وجل في خصوماته وقضاياه، ولايعدل عنه إلى سواه. فلا يروغ عن شرع ولايبتغي الحق والصواب في غيرهما، فإن هو فعل فقد ظل ضلالا بعيدا، وهذه كلمة موجزة، ووصية إلى كل ذي عقل رشيد، ينظر إلى عواقب الأمور، لأنه في وقتنا هذا كثرت المشارب، وتعالت الأصوات من هنا وهناك، بكلام ظاهره الصواب وباطنه وحقيقته السم الزعاف، والعذاب الأليم، وبالإشارة يفهم اللبيب.

### فوائد الحديث:

× يجب على المسلم أن يعرض علمه على الكتاب والسنة، ويسعى لأن يكون موافقا لهما.

× من لوازم الإيمان نصرة سنة رسول الله (ص) والدفاع عن شريعته.

×من صدق شرع الله تعالى بقلبه وأقر لسانه وخالف بفعله فهو فاسق.

×ومن وافق بفعله وخالف في اعتقاده وفكره فهو منافق.

×ومن لبس لكل موقف لبوسه فهو زنديق مارق.

حديث المنابر

# تحريم الكبر والإعجاب بالنفس

إعداد الأستاذ : عبد الله كديرة

## الخطبة الأولى

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعل الدار الآخرة لعباده المتواضعين، الحمد لله الذي لو تدبرنا كتابه المبين، وفتحنا له مغاليق القلوب لعلمنا ولعملنا بما علمنا أن الكبر والفساد قرينان لا يفترقان في القلوب وفي المجتمعات .. فحيثما كان الكبر والعجب فلا بد أن الفساد معهما والعاقبة للمتقين الذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا، فلله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه على هذه المنة، التي هي بشرى ووعد حق منه لعباده المتقين المتواضعين غير المتكبرين، أشهد أنه الله لا إله إلا هو ، هو القائل في الحديث القدسي : « العز إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن ينازعني في واحد منهما فقد عذبته» (مسلم) سبحانه عز وجل لا يحب كل مختال فخور، ولا يحب الفرحين ( أي المختالين المزهوين على الناس) ولا يحب المستكبرين، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خير من تواضع لله ولم يتكبر على عباده، فشرح صدره ورفع ذكره ووضع عنه وزره الذي أنقض ظهره، وقرن الشهادة له سبحانه بالتوحيد في الألوهية والربوبية ، بالشهادة له بالنبوة والرسالة.

وقد علمنا المعنى الحقيق للكبر، لنعرفه حق المعرفة ، فنتقيه ونتجنبه، فيكون لنا ذلك خير سبيل إلى اتقاء الفساد الذي لا يحبه الله في السماء ولا في الأرض برها وبحرها... بما تكتسبه أيديهم التي تحركها قلوبهم ، فإذا تواضعت هذه القلوب ، ووقر فيها الإيمان، كانت الجوارح تبعا لها ، فكان الفساد والإفساد..لهذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم معنى الكبر، وحذرنا منه أشد التحذير، لنعلم أنه علينا حرام أفرادا وجماعات وتحذيره لنا من الكبر جاء واضحا في قوله : صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» وفي مدرسة رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، إذا خرجت الكلمة من فمه الشريف، منبثقة من قلبه الطاهر، منزلة عليه من ربه الحكيم العليم،استقرت في القلوب الناصعة الطاهرة العطشى إلى العلم والمعرفة والصلاح والإصلاح من حوله.. فترى الرجال والنساء المحيطين به يريدون أن يحولوها إلى عمل في الواقع الحي تحيا به النفوس، وتزدهر به الجماعة، وتتطهر به القلوب والأرض ومن فيها وما فيها وعليها... فإذا وجد أحد الأطهار من الصحب السامعين الأبرار في نفسه تساؤلا عن تقى لله وخشية، فهو لايتردد في طرحه، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم علمهم بالعلم والعمل أن يقولوا بكل حرية وصدق ما تجول في أنفسهم ليتعلموا، ويتقبل منهم قولهم الصادر عن صفاء وحسن نية بصدر رحب، ويعفو ويصفح إذا هفوا وأخطأوا ، ويستغفرلهم ، ويشاورهم في الأمر كله، إلا ما كان منه وحيا إلهيا كريما جازما لا يقبل الجدل ولا المراء ولا الرد ولا التردد.. ولهذا فإن رجلا سمع مقالة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عن استحالة دخول الجنة على امرئ في قلبه ذرة من كبر ، فارتعشت أوصاله فرقا وخوفا وخشية ورعبا وهلعا، ونطق مقاله بحاله، وخاطب رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو يرتجف: إن الرجل يجب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة؟ ولم يكمل سؤاله لأن الحال يغني عن المقال.. وفهمها رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو الكيس الفطن، فنطق بالفصل بما عرف عنه من جوامع الكلم: « إن الله جميل يحب الجمال » تزين ما شئت، والبس أحسن ما عندك، وانتعل بأفضل ما تقدر عليه، فإن الله يحب النظافة والطهر والجمال لأنه هو جل علاه جميل.. ويريد من عباده الصالحين أن يكونوا بين الناس هم التجسيم المثالي الممكن للإنسان البالغ الحد الأعلى المقدور عليه من السمو والجمال والقوة والحسن والخلق الكريم والعمل الصالح... إنه سبحانه جل وعلا يريدهم أن يتخلقوا بأخلاقه.. ويحب منهم أن يتصفوا بصفاته، بما تخوله لهم إنسانيتهم وإمكانيتهم ، وبما فضل الله تعالى به هذه الإنسانية وكرمها.. وقد قدر الصحابة الأبرار هذا فكانوا خير الناس وأبرهم وأنظفهم وأطهرهم وأحلاهم وأجملهم ظاهرا وباطنا... ولم يزدهم هذا كله إلا عزة إيمانية في نفوسهم وعلى أعدائهم ، وتواضعا فيه ذلة قوية سامية على إخوانهم من عباد الله الصالحين... وفي فهمهم الكلي المطبق هذا كانت بعض الملامح منهم تنبئ بأن هناك بقية من تساؤل تروج في نفوسهم الصافية، وتعتلج في قلوبهم النقية : ما هو المعنى الحقيقي للكبر يارسول الله؟ نريد أن نعلمه علما واضحا حقيقيا لنعرف كيف نجتنبه ونتقيه؟ نطقت القلوب وسكتت الألسنة، ورسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم مبلغ عن ربه فطن أمين... أدرك بثاقب فكره وبلامع فطنته، أن من لم يفهم أو يحسن الفهم فلن يطبق أو أنه سيسيء التطبيق ، فأكمل مفسرا موضحا بالعمل الموصوف : « الكبر بطر الحق» أي شقه وتفتيته، والحق واحد لا يتجزأ ولا يتفتت، والكبر بطر الحق : أي الغلو في الفرح والزهو به، والحق الذي لا يولد تواضعا وخشوعا فهو باطل تزيّى بزي الحق، بطر الحق: أي الثقل به وعدم القدرة في القيام له بما يستحقه من الكفاح والنضال .. والحق الذي لا يقوم له به أهله حق أشل كسيح عاجز .. والكبر بطر الحق أي الدهش والحيرة فيه.. والحق أبلج واضح منير بسيط مفهوم ، فمن احتار أو دهش في الحق فليعلم أن حقه مغشوش فهو باطل سواء، بل هو الباطل نفسه.. والكبر بطر الحق : أي الاستخفاف به أو كفره وجحوده.. وجاحد الحق وإن كان بالانتماء معروفا كإنسان ، فهو في عرف الحق شيطان.. والكبر بطر الحق : أي إنكاره وعدم قبوله ، وكل من أنكر الحق ولن يقبله ، فهو ممن يتبع خطوات الشيطان ..كل هذا أيها المؤمنون هو الكبر كما فسره رسول الله : « الكبر بطر الحق » وزيادة في الحق والتوضيح العملي لتطبيقه والعمل به زاد عليه صلاة الله وسلامه: « الكبر بطر الحق » وغمط الناس» أي احتقارهم واستصغارهم وجحود ذوي الفضل منهم، وعدم الاعتراف بصنائع المعروف لأهله منهم ، ومن كان هذا حاله فليس من الناس، لأنه قد سيطر عليه الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس .. فاللهم إنا نعوذ بك من الكبر بطر الحق وغمط الناس ، ونسألك عزة الإيمان التي هي للمؤمنين الصالحين المتواضعين من الناس ، على سيدنا محمد وآله وصحبه والمهتدين بهديه.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## الخطبة الثانية

الحمد لله حمد المتواضعين الذين عرفوا فلزموا، صلى الله عليه وسلم وبارك على سيدنا محمد خير من عرف حقيقة الكبر وعرفها، وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان من عباد الله الصالحين الذين تواضعوا لله وخلقه فعزوا وعلوا وسموا ونالوا الحسنيين: عز الإيمان في الدنيا ورفعة النعيم في الآخرة

أيها المؤمنون البررة الكرام.

إن الصحب الكرام والسلف الصالح من غيرهم عرفوا ما عرفهم إياه الله ورسوله فلزموا حقيقة ما عرفوا عن الله ورسوله، وهاهي بعض الأدلة الحية الواقعية المعبرة المختصرة الموجزة، وأسوقها إليكم للعبرة والعظة، لنعرف جميعا كما عرفوا، ونلزم جميعا كما لزموا:

1 . رأى سيدنا عبد الله بن عمر رجلا يجر إزاره تكبرا ، فقال: إن للشيطان إخوانا كررها مرتين أو ثلاثا.

2 . روي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: قاولت رجلا عند النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ( أي وقعت بيني وبينه ملاسنة فيها بعض الحدة والغضب ) فقلت له: يا ابن السوداء، فقال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: « ياأبا ذر، طف الصاع، طف الصاع، طف الصاع (أي امتلأ حتى فاض) ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل» فقال أبو ذر رضي الله عنه: فاضطجعت وقلت للرجل قم فطأ خدي..

3 . لبس مطرف بن عبد الله رحمه الله الصوف وجلس مع المساكين ، فقيل له في ذلك فقال: إن أبي كان جبارا فأحببت أن أتواضع لربي لعله أن يخفف عن أبي تجبره.

فاللهم إنا نعوذ بك من كبر يبطر الحق ويغمط الناس، ونسألك تواضعا يعزنا بعزة الإيمان في الدنيا والآخرة.

مولانا أمير المؤمنين سادس المحمدين وسليل الميامين المنعمين الأكرمين، اللهم أعزه بما أعززت به أمور الأئمة العادلين الصالحين من عبادك الخاضعين لجلالك المتواضعين لسلطانك وأقر عينه بصنوه وشقيقه السديد المجيد مولانا الرشيد وبسائر أهله وبشعبه .

وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه .. والحمد لله رب العالمين.

الإسلام وقضايا العصر

# العلاج الجيني والحكم الشرعي

■ أ.د. علي محيي الدين القرة داغي

ينظر إلى العلاج الجيني من خلال اعتبارين:

الأول: اعتبار عام من حيث هو علاج للأمراض.

الثاني: اعتبار خاص يتعلق بخصوصيته وما له من آثار وإجراءات.

أما فيما يتعلق بالاعتبار الأول:

من حيث هو علاج للأمراض الوراثية فيطبق عليه من حيث المبدأ، الحكم الشرعي التكليفي للعلاج.

فمن الناحية الفقهية اختلف الفقهاء في حكم العلاج على عدة أقوال، والذي تشهد له الأدلة الشرعية ومقاصد الشريعة هو أن الأحكام التكليفية الخمسة (الوجوب، والندب، والتحريم، والكراهة، والإباحة) ترد عليه.

فالعلاج واجب إذا ترتب عليه عدم العلاج هلاك النفس بشهادة الأطباء العدول، لأن الحفاظ على النفس من الضروريات الخمس التي يجب الحفاظ عليها، وكذلك يجب العلاج في حالة كون المرض معديا، مثل: مرض السل، والدفتريا، والتيفود، والكوليرا، وترتب مثل هذا الحكم لوجود مجموعة من النصوص الدالة على دفع الضرر، ومنها قول النبي (ص): "لاضرر ولاضرار" (رواه أحمد ومالك وابن ماجه).

بل إن بعض الفقهاء ومنهم جماعة من الشافعية وبعض الحنابلة يذهبون إلى أن العلاج واجب مطلقا، وقيده بعضهم بأن يظن نفعه.

بل ذهب الحنفية إلى وجوبه إن كان السبب المزيل للمرض مقطوعا به، وذلك كما أن شرب الماء واجب لدفع ضرر العطش،وأكل الخبز لدفع ضرر الجوع، وتركهما محرم عند خوف الموت، وهكذا الأمر بالنسبة لعموم العلاج والتداوي.جاء في الفتاوى الهندية: "اعلم بأن الأسباب المزيلة للضررتنقسم إلى مقطوع به كالماء المزيل لضرر العطش، والخبز المزيل لضرر الجوع... أما المقطوع به فليس تركه من التوكل، بل تركه حرام عند خوف الموت".

وقد استدل هؤلاء الفقهاء بالأحاديث الآمرة بالتداوي، مثل حديث أسامة بن شريك قال: "أتيت النبي (ص) وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير،فسلمت، ثم قعدت، فجاء الأعراب من ههنا وههنا، فقالوا: يارسول الله أنتداوى؟ فقال: تداووا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد الهرم"(رواه أبو داود والترمذي والنسائي)، ولحديث أبي الدرداء قال: قال رسول الله (ص): "إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا، ولاتتداوا بحرام" (رواه أبو داود).

فإذا كان العلاج واجبا فيكون تركه حراما كما في حالة كون المرض معديا، أو كون الشخص مهددا بالموت، أو بضرر كبير إذا لم يتم العلاج.

ويرون التداوي مستحبا إذا كان التداوي بما يمكن الاستشفاء به حسب الظن وليس اليقين، وذلك اقتداء بتداوي الرسول (ص) في قوله وفعله، وفيما عدا ذلك فهو مباح مشروع، وهذا رأي جمهور الفقهاء. قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: "اعلم أن الذين تداووا من السلف لاينحصرون، ولكن قد ترك التداوي أيضا جماعة من الأكابر" ثم ذكر بأن الرسول (ص) تداوى، ولو كان نقصانا لتركه، إذ لا يكون حال غيره في التوكل أكمل من حاله.

وقد رد الغزالي على من قال بأن التداوي يخالف التوكل بأن ذلك نوع من المغالطة، لأن الرسول (ص) تداوى وهو سيد المتوكلين، وأمر به في أكثر من حديث، ثم إن التداوي مثل استعمال الماء للعطشان، والأكل لدفع الجوع فلا فرق بين هذه الدرجات، فإن جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى، وأجرى بها سنته، ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ماروي عن عمر (ض) وعن الصحابة في قصة الطاعون، فإنهم لما قصدوا الشام وانتهوا إلى الجابية بلغهم الخبر أن به موتا عظيما ووباء ذريعا، فافترق الناس فرقتين، فقال بعضهم لاندخل على الوباء فنلقي بأيدينا إلى التهلكة، وقالت طائفة أخرى: بل ندخل، ونتوكل على الله، ولانهرب من قدر الله تعالى، ولانفر من الموت كمن قال الله تعالى في حقهم:"ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت..."سورة البقرة/الآية:243. فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه، فقال: نرجع، ولاندخل على الوباء، فقال له المخالفون لرأيه: أنفر من قدر الله تعالى؟قال عمر: نعم، نفر من قدر الله تعالى إلى قدر الله تعالى... فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك، فقال: عندي فيه يا أمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله (ص) يقول: "إذا سمعتم به .أي بالطاعون. بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه"(متفق عليه).

فالعلاج سبب من الأسباب يؤخذ به كما يؤخذ بالأسباب في كل الأمور الأخرى، بل إن تركها إذا ترتب عليه ضرر يكون محرما، وقد أكد هذه المعاني ابن القيم في كتابه: الطب النبوي، وبيَّنَ أن العلاج سبب مشروع، وقدر من قدر الله تعالى، وسنة من سننه.

ويكون التداوي مباحا جائزا تركه، إذا كان العلاج لا يجدي نفعا وأن الدواء لاينفعه، حيث ذكر الغزالي خمسة أسباب لترك التداوي منها أن تكون العلة مزمنة، والدواء الذي يؤمر به موهوم النفع.

أما فيما يتعلق بالاعتبار الثاني:

وهو الاعتبار الخاص بالنظر إلى العلاج الجيني من حيث ما له من خصوصية، وما له من آثار، ومايترتب عليه من مصالح أو مفاسد أو مخالفات للنصوص الشرعية.

فبهذا الاعتبار لاينبغي أن نصدر حكما عاما لجميع أنواع العلاج الجيني وحالاته، وذلك لأن الحكم الشرعي إنما يكون دقيقا إذا كان موضوع الحكم معلوما مبينا واضحا، لأن الحكم على الشيء فرع من تصوره.

وإضافة إلى هذه الأدلة الخاصة بالعلاج والتداوي هناك عدة قواعد عامة، ومبادئ معتبرة تتحكم في العلاج بصورة عامة، وفي العلاج الجيني بصورة خاصة، وهي:

1. مقاصد الشريعة في رعاية المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية، والموازنة بين المصالح والمفاسد، والقواعد المتفرقة منها مثل كون درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وأنه يتم تحمل الضرر الأخف في سبيل درء الضرر الأكبر، وأن الضرر يزال، وأن الضرر لايزال بمثله، وأن الضرورات تبيح المحظورات، وأن الضرورات تقدر بقدرها، وأنه ينبغي تحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، وأن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف، وأنه إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررا، وأنه يختار أهون الشرين، وأن الضرر يدفع بقدر الإمكان، وأن الحاجة تنزل منزلة الضرورة، وأن الاضطرار لايبطل حق الغير، وأن المشقة تجلب التيسير، وأنه إذا ضاق الأمر اتسع، وأنه لاضرر ولا ضرار.

2. اعتبارالوسائل والذرائع، فالوسيلة المحرمة محرمة ولو كانت الغاية شريفة، فلايجوز استعمال أية وسيلة محرمة في العلاج الجيني أو غيره إلا للضرورة التي تبيح المحظورات. وقد جعل ابن القيم قاعدة سد الذرائع ربع الدين والفقه الإسلامي.

3. رعاية المآلات والغايات والنتائج والآثار المترتبة على العلاج، حيث قال الشاطبي:"النظر في مآلات (أي حالها في المستقبل) الأفعال معتبر مقصود شرعا، سواء كانت الأفعال موافقة أو مخالفة، وذلك أن المجتهد لايحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام أو الإحجام إلا بعد نظره إلى مايؤول إليه ذلك الفعل مشروعا لمصلحة فيه تستجلب، أو مفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية فربما أدى استجلاب المصلحة فيه إلى مفسدة تساوي المصلحة أو تزيد عليها، فيكون هذا مانعا من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم المشروعية ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد فلا يصح القول بعدم المشروعية"، وقاعدة المآلات هي الأصل العام الذي تنبني عليها مجموعة من القواعد الأساسية.

4. النظر إلى العلاج الجيني بصورة خاصة من خلال أنواعه، وحالاته، حتى يكون الحكم دقيقا صحيحا بقدر الإمكان، وذلك لأن الحكم الصحيح على الشيء فرع من تصوره وفهمه فهما دقيقا، ولذلك نفصل القول حسب الأنواع المتاحة لنا:

أ. حكم العلاج الجيني:

حكم العلاج الجيني بالنوعين المذكورين، أي أنه يجوز إذا لم يترتب عليه الأضرار والمفاسد التي ذكرناها سابقا.

وقد صدر قرار من المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي في دورته الخامسة عشرة تضمن مجموعة من الأحكام والضوابط، حيث نص على: أن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته الخامسة عشرة، المنعقدة في مكة المكرمة، التي بدأت11 رجب 1419هـ الموافق 31 اكتوبر 1998م، قد نظر في موضوع استفادة المسلمين من علم الهندسة الوراثية التي تحتل اليوم مكانة مهمة في مجال العلوم، وتثار حول استخدامها أسئلة كثيرة. وقد تبين للمجلس أن محور علم الهندسة الوراثية هو التعرف على الجينات (المورثات) وعلى تركيبها، والتحكم فيها من خلال حذف بعضها . لمرض أو لغيره . أو إضافتها أو دمجها بعضها مع بعض لتغيير الصفات الوراثية الخلقية.

وبعد النظر والتدارس والمناقشة فيما كتب حولها، وفي بعض القرارات والتوصيات التي تمخضت عنها المؤتمرات والندوات العلمية. يقرر المجلس مايلي:

أولا: تأكيد القرار الصادر عن مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بشأن الاستنساخ، برقم:2/100/د/10 في الدورة العاشرة المنعقدة بجدة، في الفترة من28-23 صفر 1418هـ.

ثانيا: الاستفادة من علم الهندسة الوراثية في الوقاية من المرض أو علاجه، أو تخفيف ضرره، بشرط ألا يترتب على ذلك ضرر أكبر.

ثالثا: لايجوز استخدام أي من أدوات علم الهندسة الوراثية ووسائله في الأغراض الشريرة وفي كل مايحرم شرعا.

رابعا:لايجوز استخدام أي من أدوات علم الهندسة الوراثية ووسائله للعبث بشخصية الإنسان ومسؤوليته الفردية، أو للتدخل في بنية المورثات(الجينات) بدعوى تحسين السلالة البشرية.

خامسا: لايجوز إجراء أي بحث، أو القيام بأية معالجة، أو تشخيص يتعلق بمورثات إنسان ما إلا بعد إجراء تقويم دقيق وسابق للأخطار والفوائد المحتملة المرتبطة بهذه الأنشطة، وبعد الحصول على الموافقة المقبولة شرعا مع الحفاظ على السرية الكاملة للنتائج، ورعاية أحكام الشريعة الإسلامية الغراء القاضية باحترام حقوق الإنسان وكرامته.

سادسا: يجوز استخدام أدوات علم الهندسة الوراثية ووسائل في حقل الزراعة وتربية الحيوان، شريطة الأخذ بكل الاحتياطات لمنع حدوث أي ضرر. ولو على المدى البعيد . بالإنسان، أو بالحيوان، أو بالبيئة.

سابعا: يدعو المجلس الشركات والمصانع المنتجة للمواد الغذائية والطبية وغيرهما من المواد المستفادة من علم الهندسة الوراثية إلى البيان عن تركيب هذه المواد ليتم التعامل والاستعمال عن بينة حذرا مما يضر أو يحرم شرعا.

ثامنا: يوصي المجلس الأطباء وأصحاب المعامل والمختبرات بتقوى الله تعالى واستشعار رقابته والبعد عن الإضرار بالفرد والمجتمع والبيئة.

يتبع (ص:11)

# النظرية التربوية في الإسلام

## القواعد الأساسية في بناء النظرية المنهجية

2/1

إعداد: ذ. الغساسي

لكل ثقافة من الثقافات منهاجها التربوي الخاص بها ،ويقصد بالمنهاج جميع الخبرات والمبادئ التي يكتسبها المتعلم وفق طرائق محددة ، أملا في تحقيق الأهداف المنشودة، فالمنهاج التربوي يتكون من الأهداف، ومن الخبرات التربوية المنتقاة، التي تنظم وتدرس بطريقة تمكن المتعلم من بلوغ تلك الأهداف، ومن الوسائل التي تبصر القائمين على التعليم بمدى ما أحرز من نجاح في عملهم.

ويمتاز المنهاج التربوي الإسلامي بأنه يختلف في أهدافه ووسائله عن المناهج التربوية الأخرى التي سادت حضارات شتى على مر الزمن، واعتمدت على قواعد مغايرة لتعاليم الإسلام.

فقد جمع منهاج التربوي الإسلامي بين تأديب النفس ، وتصفية الروح، وتثقيف العقل ، وتقويم الجسم. كما أنه راعى ميول المربي واتجاهه وقدراته حتى ليصح القول بأن المنهاج برز على ما عداه ، وأصبحت له قواعد أساسية في بناء نظريته ، هدفت إلى إيصال المربي إلى مرتبة الكمال، التي هيئ لها ، وسأقدم فيما يلي بعض هاته القواعد الأساسية التي تقوم عليها نظرية هذا المنهاج ، متوخيا الإيجاز وعدم التطويل.

### الحرية والعدالة في التعليم :

لقد تأثر المنهاج التربوي في الإسلام ، بطبيعة الفرد المسلم كما يراه الإسلام ، فالفرد لا بد أن يكون حرا في عمله وتصرفه وتفكيره وتدبيره، وأن يكون أيضا عادلا في كل أمور حياته. ومن هنا نادى الإسلام، بمبدإ المساواة وتكافؤ الفرص التعليمية أمام الجميع. وهو مبدأ نادى به المربون حديثا جدا ، مع أنه قديم قدم الإسلام، ذلك أن الإسلام في جوهره ديمقراطي ، لا يعرف نظام طبقات اجتماعية. وحيث كان جميع المسلمين مكلفين بمعرفة الدين، وأداء العبادات ، فقد وجب تعليمهم ، حتى أنه نشأ عن ذلك إلزام التعليم وسواء كان التعليم في الكتاب ، أو المدرسة ، أو المسجد، فلا يحرم أحد من التعليم لفقره، ولهذا فتحت أبواب المساجد ، والمعاهد الدراسية ، أمام الجميع، فلا فرق بين غني أو فقير ، أبيض أو أسود رجلا أو امرأة. فالتعليم بالمجان ، وقد أغدقت عليه الكثير من الأموال ، ووقف عليه الموسرون من المسلمين كثيرا من العقارات، وذلك كي يتمكن الطلاب الفقراء من متابعة الدراسة والاستمرار في طلب العلم.

ولقد فرض على أصحاب الكتاتيب إتاحة فرص متساوية أمام جميع أطفال المسلمين من دون تمييز بين غنيهم وفقيرهم . وذلك عملا بالحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أيما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية ، فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم، حشر يوم القيامة مع الخائنين».

لقد كانت فرص التعليم في العالم العربي والإسلامي متكافئة للفقير والغني على حد السواء، حتى إنه كان على المعلم ألا يميز في مجلسه لآحاد الناس ، بل يكون الجميع عنده متساوين حتى في المكان ، ومن سبق من المتعلمين إلى موضع مخصص لهم جلس فيه، واختار ما رغب .

وهاته الأساليب تعرف اليوم بديمقراطية التعليم، فهذه هي الديمقراطية ، فكما أن هناك ديمقراطية سياسية و تتناول الحقوق والواجبات، وتفتح المجال للحرية والمساواة ، فكذلك كانت هناك ديمقراطية عقلية ، تفتح الأبواب لجميع الناس لينهلوا من بحور العلم التي لا تغيض وهي قاعدة من القواعد الأساسية التي يرتكز عليها بناء المنهاج التربوي الإسلامي.

وقد جعل المربون المسلمون من قاعدة الحرية والعدالة في التعليم صفة تحلوا بها مع تلاميذهم فلم يفرقوا « بين غنيهم وفقيرهم ، بين من يؤدي القدر المتعارف عليه، وبين من يتجاوزه. أو يتقدم بهدايا من الحين والآخر، فإن أي انحياز أو انحراف من المعلم لطرف من الأطراف من شأنه أن يترك أثرا سيأ وشعورا بالمرارة قد لا يظهران في الحين للمعلم ولكنهما يظلان منقوشين في ذهن الطفل، يعطيان الصورة عن المعلم الحائر والضعيف ، وربما ركب ذلك عقدا في الطفل تلازمه في حياته اللاحقة، (المغراوي وفكره التربوي صفحة 41 لعبد الهادي التازي)

### إرشاد المتعلم إلى نوع العلوم التي تناسب استعداداته:

لقد رأى علماء التربية الإسلامية ضرورة مراعاة ميول المتعلم ، واستعداداته ، وقدرته عند إرشاده إلى نوع العلوم التي تناسبه في مستقبل حياته، فقد أوصى الزرنوجي ألا يختار الطالب وحده المادة التي يريد أن يتخصص بدراستها، وأنه لابد أن يشترك معه المعلم بما أوتي من خبرة، وتجربة، ومعرفة بالميول والاستعدادات الحقيقية للتعلم» ( كتاب تعليم المتعلم للزرنوجي الجزء الثالث صفحة 162) ويتفق هذا مع ما ذكره الفارجي في هذا الصدد في رسالته "السياسة" عندما قال في شأن المتعلمين : إن « منهم أولوا الطبائع الرذيلة يقصدون تعلم العلوم ليستعملونها في الشرور، فينبغي على المرء أن يحملهم على تهذيب الأخلاق ولا يعلمهم شيئا من العلوم التي إذا عرفوها استعملوها فيما لا يجب. ومنهم البلداء الذين لا يرجى ذكاؤهم وبراعتهم، فينبغي أن يحثهم على ما هو أعود عليهم. ومنهم ذوو الأخلاق الطاهرة، والطبائع الجيدة ، فيجب ألا يدخر عنهم شيأ مما عنده من العلوم»

وهكذا نجد التربية في الإسلام تركز على قاعدة أساسية في بناء نظريتها المنهجية هي مراعاة ملاءمة المنهاج لدراسة النمو الفكري للمتعلم، وإرشاده إلى نوع العلوم التي تناسبه في مستقبله.

وكثيرا ما يخيل إلينا أن فكرة«التوجيه المهني » فكرة محدثة ، لم تعرف إلا في القرن الماضي بعد تقدم الدراسات التقنية، والواقع أن المسلمين عرفوا جذورها وبذروها، وكانت لهم فيها آراء مهمة ، تلتقي مع النظريات المحدثة، ونجد لدى معظم الفلاسفة والمربيين المسلمين عناية خاصة بدراسة قابليات الطفل، وجعلها قاعدة أساسية في تعليمه وتوجيهه، وتعنى كذلك بالكشف عن قابليات الفرد، بغية توجيهه شطر المهنة التي هو أهيأ لها ، أو شطر الدراسة التي يملك لها الاستعداد الأكبر ، يقول ابن سينا « ليس كل صناعة يرويها الصبي ممكنة مواتية ولكن ما شاكل طبعه وناسبه، وأنه لو كانت الآداب والصناعات تجيب وتنقاد بالطلب والمرام، دون المشاكلة والملاءمة، ما كان أحد غفلا من الآداب، وعاريا من صناعة، وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات. وربما تأخر طباع الإنسان جميع الآداب والصناعات فلم يعلق منها بشئ .. ولذلك ينبغي لمدير الصبي إذا رام اختيار صناعة أن يزن أولا طبع الصبي ، ويسبر قريحته، ويختبر ذكاءه ، فيختار له الصناعات بحسب ذلك ، ( التربية الإسلامية وفلاسفتها ). لمحمد عطية الأبراشي صفحة 190.

وهكذا يرى « ابن سينا أن من الواجب على القائمين على العملية التربوية ، أن يبحثوا عما يناسب ميول المتعلم ، واستعدادته وقدراته من العلوم التي يرغب في التخصص فيها مستقبلا ، ولابد من إعطاء المتعلم الفرصة الكاملة لاختيار ودراسة ما يريد تحت إشراف معلمه ، كما أنه لابد من توجيهه في مرحلة من مراحل حياته ، وتقديم الخبرة إليه، ورعاية النبت الصغير حتى ينمو ويخرج من دوائر الأخطار . وهذا ما اتخذته التربية الإسلامية قاعدة أساسية من قواعدها في بناء النظرية المنهجية.

# الظاهرة الإجرامية وسبل الوقاية منها في ظل تشريع الإسلام

## الحلقة الرابعة

■ إعداد الأستاذ: أحمد تشيكرت

### القسم الخامس: عقوبة القصاص

لقد تقدم ببيان أحكام الحدود في القسم الرابع من هذا البحث واستخلصنا من ذلك البحث، إن أحكام العقوبات في الشريعة الإسلامية هدفها اسعاد البشرية في الدنيا والآخرة لأنها تقضي على نوازع الشر. وتجمع بين طاعة الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وبين مصالح العباد سيادة الأمن والطمأنينة في المجتمع.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن نبين الفرق بين الحدود والقصاص فالحد كما تقدم سابقا في القسم الرابع. أنه عقوبة مقدرة وجبت حقا لله تعالى لا يجوز عنه التنازل أبدا . أما القصاص فهو حق العبد يجري فيه العفو والصلح.

والقصاص في معناه اللغوي التتبع، ومنه قص أثره بمعنى تبعه .

وفي الاصطلاح. هو عقوبة مقدرة ثبت أصلها في الكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى» يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ، فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة . فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم. ولكم في القصاص حياة ياأولي الألباب لعلكم تتقون. « سورة البقرة/ الآية: 178-179.

وفي القصاص العدالة التامة التي لايتصور العقل أمثل منها وفيه مزايا كثيرة ، لاتوجد في عقوبات القوانين الوضعية كالسجن وغيره وفي القصاص شفاء غيظ المجني عليهم. إذ لا يرد غيظهم عقوبة السجن مهما يكن مقدارها، بل يشفي غليل نفوسهم أن يصنع بالجاني مثل ما صنع بالمجني عليه ، وفي القصاص كذلك حياة المجتمع هي الحياة الهادئة التي يجتث فيها الأشرار. ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: «ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون» كما بين الله جل شأنه . أن في إحياء النفس المقتولة بالقصاص كما في إحياء الجماعة بأسرها، من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا « سورة المائدة / الآية: 32.

والقصاص . أي حد القتل ، يقابله في المفهوم القانوني الإعدام والإعدام في أقدم العقوبات ، ومنذ القرن التاسع عشر بدأ بعض الكتاب يعترض على هذه العقوبة ويطالب بإلغائها ثم تراجعت حركة الإلغاء في بعض الدول تحت تأثير العوامل السياسية ونظم الحكم الداخلية والاعتبارات المحلية، ولا يزال كثير من التشريعات يقرر عقوبة الإعدام. مثل التشريع الفرنسي والسوفياتي، وهناك تشريعات ألغت عقوبة الإعدام مثل التشريع النرويجي والسويدي والنمساوي والدنماركي، ولكن كثيرا من التشريعات التي ألغت عقوبة الإعدام عادت فقررتها . حينما شعرت بالحاجة إليها أما بالنسبة للقانون المغربي فنجد ما يلي:

ففي القانون الجنائي في شروح . المشتمل على 541 ص من الحجم الكبير نشر وزارة العدل سنة1968. ص 14:.

نجد مايلي:

إن عقوبة الإعدام التي طالما نوقشت ملاءمتها وفعالية فائدتها . استقر عليها القانون الجنائي ، على أن يقتصر مفعولها على الجنايات التي تمثل خطورة استثنائية جسمية. انظر الفصول:

154-163-165-167-171-181- 182-202-203-204 إلى آخر هذه الفصول 591.

ونص الفصل 19 . على أن تنفيذ عقوبة الإعدام يتم رميا بالرصاص بأمر وزير العدل. وطلب من رئيس النيابة العامة.

والقرآن الكريم يعتبر القتل من الجرائم الكبرى ويتوعد فاعلها بأشد أنواع العذاب في الدنيا والآخرة قال الله تعالى : « ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما، سورة النساء / الآية :93

كتاب صدر

منذ أن أكرم الله المغاربة بالإسلام، وهم هدفا للطامعين في إيجاد موقع قدم للشرك في أرضهم ، واتخذ ذلك أشكالا وألوانا دون جدوى، واليوم في عهد حقوق الانسان يتكالب على الأمة أعداء الدين منتهزين ما أصاب الأمة الإسلامية من وهن فأخذوا يعملون على بث سمومهم وأحقادهم بين الشباب موهمينهم أن الرفاهية تنتظرهم وراء الضفة الشمالية، وأن الارتداد عن الاسلام هو الكفيل بتحقيق أحلامهم في الهجرة إلى هناك.

أمام هذا الوضع بادر العلامة الأستاذ محمد أعراب نائب رئيس فرع الرابطة بالناظور إلى إصدار كتاب، يفضح المنصرين، ويبين عوراتهم، مبينا خطر الشرك وأسبابه، مبرزا أن عقيدة التثليث كانت دين الأمم الوثنية شارحا موقف الإسلام من اليهودية والنصرانية التي حرفت تعاليمها وزيفت الواحها وكتبها، وأنه لا يصح إيمان المسلم إلا بالإيمان بالكتب السماوية المنزلة التي تدعو إلى التوحيد وعبادة الخالق الفرد الصمد، وكذلك جميع الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

صدر الكتاب في 136 صفحة من القطع المتوسط.

## البرنامج العام بأنشطة المجلس العلمي لجهة الرباط . سلا. زمور. زعير خلال شهر ذي الحجة لعام 1423هـ

المحاضرات

| ر ت | عنوان المحاضرة | إسم المحاضر | موعدها |
|---|---|---|---|
| 1 | "آفات اللسان" | ذ. عبد الله بلعاني | الأربعاء 05 فبراير 2003م |
| 2 | "الأخلاق سبيل البقاء" | ذ. أحمد السعيدي | الاثنين 10فبراير 2003م |
| 3 | "فعاليات نسائية من العهد المرابطي." | ذة. فاطمة نافع | الخميس 20فبراير 2003م |
| 4 | "صبر الأنبياء ومنهجهم في الدعوة إلى الله ( سورة نوح نموذجا)" | ذ. إبراهيم الزيتي | الأربعاء 26 فبراير 2003م |

وذلك بعد صلاة العصر بقاعة المرحوم الشيخ المكي الناصري بمقر المجلس العلمي.

محمد الخضر الريسوني

# أهي بداية رسم خريطة جديدة للعالم العربي؟

عندما ترتفع عقيرة رئيس دولة كبرى ويعلن بان الهجوم على العراق المسلم هو دعوة من الله ومن التاريخ، يدرك الانسان بان الشرعية الدولية وعلاقات الأمم بعضها ببعض واجتماعات الأمم المتحدة ومجلس الأمن كل ذلك أصبح في خطر، والله سبحانه لا يريد بالانسانية شرا ، ولا يسمح بقتل الانسان " من قتل نفسا بغيرنفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا فما بالك بآلاف الطائرات ومثلها من القنابل والقاذفات وهي تنقض على المدنيين العزل بدون تمييز بين المدني والعسكري هذا في الوقت الذي ما انفك فيه السفاح الآثم شارون يمضي قدما في إبادة شعب ولا يميز بين الأطفال والنساء والعجزة ولم يهتز جفنه إلا لموت ضابط كان بين الرواد في مكوك الفضاء الأمريكي الذين قضوا وشاء القدر أن يسقط المكوك فوق بلدة صغيرة في إحدى الولايات تحمل اسم "فلسطين".

ياترى ما هذا الجنون الذي يهدد سلام العالم في وقت تنادي المنظمات والمؤسسات العالمية بضرورة احترام حقوق الانسان ، فما الفرق بين جريمة تقترفها إسرائيل الصهيونية في حق الشعب الفلسطيني الأعزل وجريمة تطال انسان العراق؟ إن عالمنا اليوم يسير بخطى تابثة إلى القضاء على القيم والضوابط الأخلاقية وهلل مبتهجا لظاهرة " عبدة الشيطان" وللشذوذ الجنسي ، ولكل الموبقات الهادفة إلى نشر الفساد وانتزاع الخير والفضيلة، من قلب الانسان المكرم من عند رب العالمين وحتى نكون على معرفة بما يحدث ويجري في هذا العالم المرتد نعود لنتأمل بعض الحقائق التاريخية ، ونربط الحاضر بالماضي. ففي بداية القرن العشرين مثلا ... لم تكن للحدود الجغرافية أية معنى، وذلك لأن الحيز المكاني كان امتدادا مفتوحا على الأفق، وفي القارة الجديدة وهي حديثة العهد بالاكتشاف أعطى " إله الجنود" الشرعية الكاملة لاستئصال السكان الأصليين واغتصاب أراضيهم إقتداء بالنموذج التوراتي أي نموذج" يشوع" حين أوكل يهوه" لشعبه مهمة ذبح السكان الأصليين في أرض كنعان والاستلاء على بلادهم وكما زود العهد القديم الأمريكيين الأوائل بوهم ملائم لعلاقتهم مع السكان الأصليين للبلاد فقد قام البيور ريتانيون ) الأنجليز بدورهم لتزويد الإسرائيليين بوهم ملائم لعلاقتهم مع الفلسطينيين والنتيجة المؤكدة كانت في إنشاء جبهة حقيقية مشتركة ضد الاسلام.

إن الوطن العربي مقبل على مفاجئات أليمة تمس سيادته وتكون خاضعة لمعاهدة جديدة شبيهة بمعاهدة " سايكس" و"بيكو "بعد الحرب العالمية الأولى وأشار إلى ذلك مسؤول كبير في وزارة الخارجية الأمريكية حيث أعلن عن خارطة جديدة للشرق الأوسط.

إن الذين لا يقرؤون التاريخ ولا يعتبرون بأحداثه لا يمكنهم الحكم على أحداث الحاضر ، ذلك إنه بعد الحرب العالمية الأولى ومعاهدة سايكس بيكو وإعلان الرئيس الأمريكي ويلسون حول حرية الشعوب وحقها في تقرير مصيرها تجاهل الغرب بعد انتصاره على دولة الخلافة العثمانية تلك المبادئ ، ونكث بعهوده السابقة لرجالات العرب وقادتهم وتم رسم حدود جديدة للشرق العربي كما لم ترسم وتقسم من قبل.

وكانت رسائل المسؤولين البريطانيين للشريف حسين تعد باستقلال العرب ووحدتهم وقلة من العرب آنذاك " مثل شكيب أرسلان" رأت الخطر الداهم في تحالف العرب مع الاستعمار الغربي ، وكانت هدية بريطانيا المسمومة عهد بلفور الذي كانت بمثابة المسمار الذي دق في جسد الأمة العربية في فلسطين والذي لا يزال جرحه بعد عشرات السنين ينزف بالدماء.

فهل ما يحدث اليوم في المنطقة العربية والعدوان على العراق هو تاريخ يعيد نفسه بصيغة أخرى ؟ أم هي بداية رسم خريطة جديدة للعالم العربي؟

# الدفاع الوجودي عن القرآن الكريم

**وبعد أن أورد بدوي شيئا من هذه المزاعم والأوهام التي استولت على هذا المستشرق، عمد إلى نقضها الواحدة تلو الأخرى على النحو التالي:**

1. **اشتقاق** كلمة (مسلم): فقد ادعى مجيلوث بأن كلمة (مسلم) كانت تطلق على مريدي مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة باسم مسيلمة الكذاب، لكن ما إن نشر مرجيلوث رأيه هذا حتى بادر المستعرب الإنجليزي تشارلز.ج.ليل إلى الرد عليه ردا موجعا، حتى إن مرجليوث لم يرجع إلى القول بهذا الرأي السخيف في أي عمل من أعماله اللاحقة، وقد علق على ذلك بدوي قائلا: "وأتساءل كيف وقع مرجليوث وهو في سن الخامسة والأربعين في هذا الخطأ الفاضح؟ ألم يسبق له أن قرأ القرآن أو السيرة أو أي كتاب عن تاريخ الإسلام؟وكيف يشتق اسم التفاعل (مسلم) من مسيلمة؟ فلو كانت لديه أدنى المعرفة باللغة العربية لتنبه إلى أن النسبة إلى مسيلمة تكون (مسيلمي) لا (مسلم)، لكن للأسف فإن تعصبه أدى إلى عمى بصيرته".

2. **كلمة** (فرقان) وكلمة:-Pirke Abbot وقد تحدث بدوي عنها قبل قليل، حيث بين سفاهة ذلك الادعاء والقائلين به.

3. **حول** إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: حيث ادعى مرجليوث بأن اسم ابراهيم لم يكن متداولا في مكة، إلى أن أدخله محمد (ص)، وقد رد عليه بدوي بأن اليهود والمسيحيين كانوا يعيشون في مكة قبل الإسلام باعتراف هذا المستشرق نفسه، فكيف لايعرف العرب اليهود والمسيحيون اسم إبراهيم، وأن عليهم أن ينتظروا مبعث النبي (ص) ليدخل إليه اسم إبراهيم الخليل عليه السلام، ولكنها سخافة الرأي. كما أن مرجليوث ادعى بأن ملة إبراهيم ظهرت أول ماظهرت في (حران) لدى أهل سبأ، لذلك فإن "الحرانيين قد سموا الأحناف أي المشركين، ومن طرف جيرانهم المسيحيين، ومن الممكن أن تكون هذه التسمية هي أصل كلمة (حنيف) التي وردت في القرآن على أتباع ملة إبراهيم، وهي مرادفة لكلمة (مسلم)" إلا أن بدوي رد قائلا: "عرض مرجليوث لهذين الزعمين دون الاستناد إلى أي مصدر يذكر، وليس هناك أي مصدر قد وافق على أي من الزعمين اللذين اختلقهما خيال مرجليوث المختل".

4 **صلاة** المسلمين أثناء الحرب وتاريخ إقرار الفاتحة: فقد ادعى مرجليوث بأن الصلاة في الإسلام مرتبطة بطقوس الحرب، وأن سورة الفاتحة مدنية وليست مكية، إلا أن بدوي لم يكلف نفسه عناء الرد فقال: "هذا الإدعاء صبياني وسخيف، لأنه يؤكد أن الصلاة فرضت على المسلمين كعمل عسكري،وهذا ما لا يقبله العقل، وسخيف لأن القول بأن الفاتحة سورة مدنية، مؤداه أن محمدا (ص) وأتباعه لم يكونوا يؤدون الصلاة قبل ذلك مع أن الكتب والأحاديث الصحاح تؤكد على أن الصلاة غير جائزة دون الفاتحة".

بعد ذلك تحدث بدوي عما ذهب إليه مرجليوث والمستشرق جولدتسهير حين زعما بأن الفاتحة هي المقابل للصلوات الربانية المسيحية، لكن رد بدوي كان صارما، وقد اعتمد على ثلاثة أسس في دحض هذا الزعم الخبيث، وهي:

أولا: الفاتحة تؤكد على وحدانية الله عز وجل، بينما تؤكد الصلوات الربانية المسيحية على أبوية الله.

ثانيا: تؤكد الفاتحة على سيادة الله عزوجل على الكون وعلى يوم القيامة، بينما الصلوات الربانية تكتفي بتمجيد اسم الله والتوسل لمجيء ملكه.

ثالثا: تعبر الفاتحة عن خضوع الإنسان التام لله عز وجل مع التوكل عليه سبحانه، وفي الاستعانة به جل علاه دون سواه، بينما الصلوات الربانية تطلب من الله أن يمنح الإنسان قوته وأن يغفر له ويجنبه الوقوع في الغواية، وقد ختم بدوي كلامه قائلا:"يا له من تكبر، يالها من عجرفة، كيف يخاطب الله تعالى مخاطبة الند للند، وكيف يؤمر(هكذا) بإبعاد عباده من الغواية، وهل هذه صلاة أم أمر؟ من البديهي إذن أن مكنون الفاتحة متعارض كل التعارض مع فحوى الصلوات الربانية المسيحية".

5. **الصيام** وتحريم الخمور: ادعى مرجليوث بأن فرض الصيام في الإسلام يندرج تحت الانضباط والتدريب العسكريين، سيرا على الهاجس العسكري الذي ساوره في حديثه عن الصلاة كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وقد رد بدوي على ذلك بأن الصيام مفروض على كل مسلم بالغ رجلا كان أو امرأة، ولم يشر أحد من العقلاء يوما إلى ارتباط الصيام بالتدريب العسكري.

ونفس الادعاء دفع هذا المستشرق اليهودي المتعصب إلى القول بأن تحريم الخمر جاء لغايات عسكرية، وضد المسيحية، وقد رد بدوي على هذا الزعم بأن هذا محض افتراء، إذ لم يقل أحد إطلاقا سواء في التفسير أو الفقه بأن تحريم الخمر كان لغرض الانضباط العسكري، أو معارضة للمسيحية.

6. **التحريم** الخاص بالأكل: ادعى مرجليوث بأن النبي (ص) لجأ إلى "استبقاء الحد الأدنى مما أقره مجمع القدس والمنصوص عليه في الإصحاح 15 مع تحريم لحم الخنزير، وهي فكرة استحدثها على تلك التشريعات" لكن بدوي رجع إلى قرار مجمع القدس الذي نص على الامتناع "عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم". لذلك أكد بدوي على أن ماذهب إليه

■ إعداد الدكتور: بنعيسى بوبوزان

## الحلقة الرابعة

مرجليوث خاطئ من ثلاثة وجوع هي:

أولا: أن قرار مجمع القدس نص على تحريم المخنوق ودم الحيوانات، ولم يشر إطلاقا إلى لحم الخنزير.

ثانيا: أن قائمة اللحوم المحرمة في القرآن الكريم أطول بكثير من قرار مجمع القدس المشار إليه أعلاه، فقد ورد في الآية من سورة المائدة قوله تعالى: "حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، والمنخنقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب".

ثالثا: أن اللحوم المحرمة في القرآن الكريم تختلف عن اللحوم المحرمة لدى اليهود، كلحم الإبل والأرانب الوحشية والأسماك الخالية من الحراشيف، وهي كلها مما أحله القرآن الكريم.

وبالتالي فإن ما يصدر عنه مرجليوث مبعثه التعصب الأعمى ضد الإسلام، وخدمة للقضايا اليهودية عموما.

وفي الفصل الخامس تحدث عبد الرحمن بدوي عن المستشرق إجناس جولتسيهر وتشابهاته الخاطئة بين الإسلام واليهودية. ذلك أن هذا المستشرق ذهب على غرار سائر المستشرقين إلى البحث عن الأصول اليهودية لمختلف العقائد والتشريعات الإسلامية، فكان مما تعرض له مايلي:

أولا: إله بني إسرائيل والله في الإسلام: فقد ادعى جولتسيهر بأن مفهوم التوحيد في الإسلام يتوافق في جوهره مع مفهوم التوحيد في الديانة اليهودية كما جاء في العهد القديم، ولكن الدكتور بدوي دحض هذا الزعم بتركيزه على نقطتين اثنتين ، هما:

1. الإله في العهد القديم خاص ببني إسرائيل دون غيرهم حسب مايزعمون، بينما الله عز وجل في الإسلام هو رب العالمين ورب السماوات والأرض وما فيهن.

2. إله اليهود حسب مايزعمون هو الأب، بينما الله عز وجل في الإسلام لم يلد ولم يولد.

ثانيا: الصيام اليهودي والصيام الإسلامي: ادعى المستشرق جولدتسيهر بأن محمدا (ص)أخذ الصيام عن اليهود، ولكن الدكتور بدوي رد بأن هذا الرأي سخيف من عدة وجوه أهمها:

1. أن الصيام لدى اليهود يقتصر على يوم واحد، طبقا لظروف خاصة بتاريخ اليهود، وهو صيام يوم الغفران، وبعد السبي البابلي أضيفت أيام أخر إلى صيامهم من طرف أحبارهم الذين شرعوا لهم من دون الله، كصيام شهور تموز وآب وتشرين وتبيب وهو يناير، ويكون الصيام عندهم من الفجر إلى أول نجوم الليل، ماعدا صوم يوم الغفران، واليوم التاسع من آب/غشت، حيث يمتد من الليل إلى الليل، والصوم عندهم يقتصر على الامتناع عن الأكل والشرب فقط، وهذا كله يختلف اختلافا كليا عن الصيام لدينا نحن المسلمين، وكما شرعه الله عز وجل لنا من عدة وجوه، هي:

أ. الصيام في الإسلام شهر كامل وليس يوما واحدا كما لدى اليهود.

ب. الصيام في الإسلام ركن من أركان الإسلام، بينما الصيام لدى اليهود حدث تاريخي بمآسيهم التي ابتلاهم الله عز وجل بها.

ج. الصيام في الإسلام فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل، بينما الصيام لدى اليهود اختياري ولا يكون فرضا إلا في حالة الإضطهاد، وتسقط فرضيته عندهم عندما يحل السلام كما يزعمون.

د. أن الصيام عرف قبل اليهود بآلاف السنين، وقد اتخذته مختلف الشعوب والأقوام للتكفير عن الذنوب وتقوية العبادة، ومن ثم ما كان الصوم طقسا يهوديا ابتدعوه هم وحدهم دون سائر الأمم وبالتالي فليس من العدل القول بأن النبي (ص) أخذ الصيام عن اليهود"، لكنه نفس التحيز ونفس الهاجس الذي جعل جولدتسيهر ويجعل أمثاله يرون بصمات يهودية في كل شيء"، إلى درجة أن هذا المستشرق يضع إلى جانب كلمة (صيام) العربية، كلمة (صوم) العبرية، تأكيدا منه على مزاعمه، بأن حتى كلمة (صيام) ماهي إلا تعريب لهذه الكلمة العبرية، وهذا جهل فاضح باللغة العربية كما قال د.بدوي.

ثالثا: القبلة: ادعى جولدتسيهر بأن النبي (ص) صلى أول الأمر مستقبلا بيت القدس تحببا إلى يهود المدينة، ولكنه (ص) حين يئس. كما زعم هذا المستشرق. من إسلام هؤلاء اليهود غير القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة بمكة المكرمة، وقد رد الدكتور بدوي على هذا الزعم بما يلي:

1. أن هذا الرأي خاطئ من أساسه لأنه يشعر وكأن النبي (ص) لم يحتك باليهود إلا بعد الهجرة، وهذا رأي باطل من أساسه.

2. أن الكعبة كانت في السنين الأولى للبعثة النبوية مرتعا للوثنية العربية، وبالتالي فلايمكن أن تكون قبلة لدين يدعو إلى التوحيد كما يرى الدكتور بدوي.

3. أن الكعبة بيت أسسه إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام، والإسلام ملة إبراهيم عليه السلام، فكان طبيعيا. كما يرى بدوي. أن يلتفت المسلمون إلى هذا البيت في صلواتهم.

وعلى هذا فمن الخطأ الفاحش أن يقول هذا المستشرق وسواه أن النبي (ص) اتخذ بيت المقدس قبلته الأولى تحببا إلى اليهود بالمدينة لترغيبهم للدخول في الإسلام، وأنه لما يئس منهم حول القبلة إلى الكعبة المشرفة.

# الغريب في اللغة وألفاظ القرآن الكريم

إعداد الأستاذ المصطفى بجتيت

يعتبر علم غريب القرآن من أهم علوم القرآن وأكثرها خطرا ، نظرا لتوقف فهم كتاب الله تعالى عليه من حيث معناه وأحكامه ، يقول في شانه الراغب الأصفهاني» ان اول ما يحتاج أن يشتغل به في علوم القرآن ، العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة ، فتحصيل معاني مفردات الألفاظ في كونه من أوائل المعاون لمن يدرك معانيه. فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته وكرائمه وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وإليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم.»

ولذلك نجد في المكتبة العربية مجموعة من الكتب مهتمة بهذا الموضوع اهتماما بالغا وكل على حسب طريقته الخاصة وكل هذه الكتب تشرح بعض الألفاظ الغريبة في القرآن الكريم وتفسر معناها مستعينة على ذلك بكلام العرب نثرا وشعرا . كتفسيرهم «الصفوان» بالحجر الصلد الذي ليس عليه شيء ، وتفسيرهم «المحصنات غير المسافحات» بالعفيفات غير الزواني في السر والعلانية، وتفسيرهم «النقير» بالنقطة التي في ظهر النواة والقطران» بالنحاس المذاب والمهل » بعكر الزيت والفساق» بالزمهرير «و الشواظ» بلهب النار و غير ذلك.

والغرابة مصدرها في الحقيقة عدم الألف والشيوع فالغريب في اللغة وهو ما قل دورانه على الألسنة فلم يستعمله الخطباء ولا الشعراء استعمال غيره من الألفاظ، والغريب لا يكون غريبا إلا بهجرانه .والمألوف ليس مألوفا إلا لأننا ألفنا سماعه واستعماله، فالألفاظ العربية في القرآن هي بهذا المقياس غريبة على المتأخرين من العرب لعدم الفهم إياها في لغتهم، أما في عصر نزول القرآن فقد كانت هذه الألفاظ وأغلبها على الأقل عاما شائعا على ألسنة الناس من العامة والأدباء والشعراء . وقلنا أغلبها، لإن بعض الكتب المهتمة بهذا الشأن، أخبرتنا عن توقف بعض الصحابة .رضي الله تعالى عنهم. أمام بعض ألفاظ القرآن الكريم وتساؤلهم عن معانيها.

هذا أبو بكر. رضي الله عنه. سئل عن معنى « الأبّ » في قوله تعالى « وفاكهة وأبا» فقال: أي سماء تظلني و أي ارض تقلني إذا أنا قلت في كلام الله ما لا أعلم.

وقرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سورة « عبس» فلما بلغ إلى قوله « وفاكهة وأبا» فقال : الفاكهة عرفناها فما الأب ؟ ثم قال : لعمرك يابن الخطاب إن هذا لهو التكلف ثم قال : آمنا به كل من عند ربنا.

وعنه أيضا قال: ما كنت أدري ما معنى قوله تعالى» أو يأخذهم على تخوف» حتى ذكر لي رجل من هذيل أنها من لغتهم وأن التخوف في لغة هذيل هو التنقص: يقال: تخوفته الدهور إذا نقصته وأخذت من ماله وجسمه وأنشد قائلا:

تخوف السير منها تامكا قرِداً  كما تخوف عودا لنبعة السفن

أي أن السير تنقص شام الناقة التي يصفها بعد تمكنه واكتنازه.

وهذا عبد الله بن عباس. رضي الله تعالى عنهما . يروى أنه قال مرة ما كنت أدري ما قوله تعالى: «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الفاتحين» حتى سمعت ابنة ذي يزن الحميدي وهي تقول : أفاتحك تعني : أضايقك» وفي سورة السجدة» متى هذا الفتح إن كنتم صادقين» يعني متى هذا القضاء وكذلك قوله: «وهو الفتاح العليم » وقوله جل شأنه:«إنا فتحنا لك فتحا مبينا»

روى عن ابن عباس كذلك أنه قال ما كنت أعرف ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما بئري وأنا فطرتها يعني ابتدأتها وجاءه مرة رجل من قبيلة هذيل فقال له ابن عباس ما فعل فلان؟ قال الهذلي : مات وترك أربعة من الولد وثلاثة من الوراء فكانت هذه العبارة هادية لابن عباس في تفسيره لقوله تعالى: « فبشرناها بإ سحاق ومن وراء إسحاق يعقوب » فقال في تفسيرها«الوراء» ولد الولد كما روي عنه أنه قال: كل القرآن أعلمه إلا أربعا: غسلين، وحنانا ، وأوّاه. والرقيم.

فقد أخرج أبو عبيد عن الحسن أنه قال : كنا لا ندري ما الأرائك حتى لقينا رجل من اهل اليمن فأخبرنا أن الأرائك عندهم : الحجلة فيها السرير.

ولهذا السبب يقول العلماء ليس لغير العالم بحقائق اللغة وموضوعاتها تفسير شيء من كلام الله تعالى ولا يكفي في حقه تعلم اليسير منها . فقد يكون اللفظ مشتركا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد معنى الأخر كأن يعلم مثلا . أن الأمة معناها: الجماعة، كما في قوله تعالى: « كان الناس أمة واحدة» ولا يعرف معناها الأخر وهو : الحين والمدة كما في قوله تعالى « وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة»

وقد أدرك العلماء من قديم جلال علم غريب القرآن وما يترتب على الجهل به من مخاطر ، فتورعوا عن تفسيره بغير علم وتشدد وامع كل من يتصدى لذلك وهو غير عالم بلغات العرب واعتبروا الجهل بذلك من أسباب الزندقة والمروق.

ولذلك كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يتحرجان عن تفسير مثل هذه الألفاظ قال مجاهد: لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الأخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب.

لقد كان الأصمعي وهو إمام في اللغة واحد رواتها الأعلام يتهيب تفسير غريب القرآن، من ذلك أنه سئل مرة عن قوله تعالى: « قد شغفها حبا» فسكت وقال: هذا في القرآن ثم ذكر قولا لبعض العرب في جارية لقوم أرادوا أبيعها . أتبيعونعا وهي لكم شغاف؟ ولم يزد على ذلك.

وكان الإمام مالك بن أنس رحمه الله يتوعد مَنْ يفسر القرآن وهو غير عالم بلغات العرب ويقول « لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العرب إلا جعلته نكالا»

وقد كان لتلاوة القرآن الكريم وتدارس معناه بين المسلمين على مر الزمان وفي جميع العصور الإسلامية أثر في ألف الناس لألفاظه، رغم أنهم لا يستعملون بعضها في كلامهم فزالت عن أكثر الغريب غرابته وساعد على ذلك أن ما يحيط بالكلمة العربية في القرآن الكريم من السياق الأسلوبي كثيرا ما يكون دالا على معناها كما نجد ذلك في كلمة أركسُوا في قوله تعالى: «كل ما ردُّوا إلى الفتنة أركِسُوا فيها» يعني أوقعو فيها .مثل ذلك « أمتا» بمعنى ارتفاعا وانخفاضا في قوله تعالى « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا» وكذلك « البَنا» بمعنى نقصنا في قوله تعالى « وما البَنَاهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين» ويكاد يكون هذا الأمر مبدأ عاما في معظم ما يسميه العلماء بغريب القرآن فهو مع قلته يحاط بما يشير إلى معناه وقد يتولى القرآن نفسه ما يرد في تلك الألفاظ ويكون ذلك في موضع الترهيب والزجر والوعد والوعيد فيكون النطق بهذه الكلمة الغريبة مثيرا في نفس سامعها السؤال عنها والتنبه القوي لمعناها حتى إذا جاء هذا المعنى استقر في النفس فملأها خوفا أو غمرها بالبهجة والسرور ، ومن أمثله ذلك قوله تعالى: ساصليه سقر وما أدراك ماسقر لا تبقي ولا تذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر» وقوله تعالى: « كلا ان كتاب الفجار لفي سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم وقوله تعالى: «كلا ان كتاب الأبرار لفي عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون». تلك هي عظمة القرآن الكريم في بيان لغته وبلاغة عباراته وصدق الله العظيم إذ يقول : « أفلا يتدبرون القرآن . ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا»

# شروط القراءة الصحيحة المعتمدة في استنباط الأحكام

إعداد الدكتور: محمد حمان

الأحكام الفقهية لاتستنبط. كما قلنا . من القراءات الشاذة التي تفتقد شرطا أو أكثر من الشروط المشترطة لقبول القراءة واعتبارها صحيحة، لهذا يكون مجال الفقه بالنسبة للقرآن خاصا بالقراءات الصحيحة المقبولة عند علماءالإقراء، ولايقبل من القراءات لدى المختصين في القراءات القرآنية إلا المشهور الثابت بالتواتر عن رسول الله (ص)، والموافق لأحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا، والذي يوافق اللغة العربية ولو بوجه، فكل قراءة جمعت هذه الشروط تعتبر صحيحة، وبالتالي يعتمدها الفقهاء في استنباطهم للأحكام الشرعية من النصوص القرآنية.

ومن الطبيعي أن يشترط الباحثون المتخصصون في القراءات ومعهم الفقهاء موافقة القراءة للغة العربية، وكيف لايفعلون ذلك، والنصوص القرآنية الدالة على كون القرآن من صميم لغة العرب كثيرة ومتوافرة في عدة سور من الكتاب العزيز، يقول الله تعالى: (إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)، ويقول سبحانه: (وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا)، ويقول عز من قائل: "قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون" ويقول جل علاه: "إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"، ويقول عز وجل: "كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون"، ويقول جل ذكره: "وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها..." ويقول جل جلاله: "وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين".

وليس معنى هذا الشرط خضوع كل قراءة قرآنية متواترة لقواعد النحو وتوجيهات النحويين وعللهم، وإنما يكفي في القراءة الثابتة عن رسول الله (ص) أن يكون لها وجه من الإعراب، سواء كان محل اتفاق أو محل اختلاف بين علماء النحو، لأن القراء في ضوابطهم والفقهاء في استنباطاتهم يعتبرون القراءات القرآنية المتواترة تمثل الأصول التي يجب أن تخضع لها القواعد النحوية.

وعلى هذا الأساس فإن ما فيه قراءتان أو قراءات لابد وأن يعتبر ذا وجهين أو وجوه في النحو، لأنه لاحق لأي كان أن يخطئ قراءة متواترة باعتبار كونها في نظره لاتوافق أفصح اللغات وأصح الوجوه النحوية، إذ لاعبرة عند القراء بالأفشى في اللغة والأقيس في العربية، وأما المعتبر لديهم هو الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية كما يقول أبو عمروالداني.

فاعتراضات المعترضين من المفسرين والفقهاء والنحاة على بعض القراءات القرآنية المتواترة مردودة عليهم، سواء كان سندهم في ذلك القواعد النحوية، أو المنطق العقلي، أو الضوابط الاجتهادية، إذ في ذلك مخالفة لجمهور العلماء على اختلاف تخصصاتهم، حيث إنهم برمتهم يعتبرون جميع القراءات القرآنية المتواترة في درجة واحدة، لافضل لهذه على تلك في الحجية، وفي استنباط الأحكام الفقهية وفي الدراسات اللغوية.

على أنه إذا وقع اختلاف بين النحويين والقراء فإن قول القراء يكون أولى بالاتباع من قول النحويين، لأن ماثبت بالتواتر مقدم على غيره.

وقد حسم العلامة ابن الحاجب في هذا الموضوع عندما قال: "إذا اختلف النحويون والقراء كان المصير إلى القراء أولى، لأنهم ناقلون عمن ثبتت عصمته من الغلط..."

وقد كان منطلق علماء القراءات في اشتراطهم موافقة القراءة المقبولة لأحد المصاحف العثمانية هو إجماع الصحابة وأئمة الإسلام على أن ما كتب في تلك المصاحف هو القرآن المنزل على محمد (ص)، لهذا تعتبر كل قراءة ثابتة عن النبي (ص)، وموافقة لوجه من أوجه اللغة العربية، ولأحد المصاحف العثمانية قراءة صحيحة لاشك في قرآنيتها.

على أن الوصف بالشذوذ يلحق تلك القراءات الأخرى التي تخالف جميع أوجه اللغة العربية، والتي لاتوافق أي مصحف من تلك المصاحف التي كتبتها لجنة الصحابة بتكليف من الخليفة عثمان (ض)، أما ما لم يثبت عن رسول الله (ص) فإنه لايعتبر شاذا فقط، وإنما يعتبر باطلا لاحجة فيه وتحرم القراءة به.

والنص على موافقة أحد المصاحف يفيد أن هناك نوعا من الاختلاف بين نسخة وأخرى، وأن ماثبت في بعضها ليس بالضرورة أن يكون ثابتا في البعض الأخر.

والاختلاف الواقع بين القراء في القراءات القرآنية نتيجة اختلاف نسخ المصاحف العثمانية تعرض لها الباحثون المختصون في ميدان الإقراء، فالعالم المختص ابن الجزري تصدى لتوضيح هذا الاختلاف عندما قام بشرح الشروط التي تتضمنها ضوابط القراءات الصحيحة حيث بين بالأمثلة أن اختلاف القراءفيما بينهم كان يستند أحيانا إلى الاختلاف الموجود بين نسخة وأخرى من نسخ المصاحف العثمانية.

وموافقة الرسم قد تكون صريحة وقد تكون احتمالية وتقديرية، ويتبين هذا من خلال تلك المبالغة التي ألحقها الواضعون للضوابط بركن موافقة الرسم لأحد المصاحف العثمانية، حيث قالوا: ولو احتمالا.

تتمة (ص:6)

ب. حكم المسح الوراثي:

يجوز شرعا المسح الوراثي، بشرط أن تكون الوسائل المستعملة فيه مباحة آمنة، لاتضر بالإنسان ولا بالبيئة، وذلك لأن هذه الطريقة تهدف إلى تقليل الأمراض الوراثية، وتساعد الأطباء على وضع البرامج الوقائية لحماية الإنسان وابتكار الأدوية، كما تساعد على دفع الضرر قبل وقوعه.

ويجوز للدولة الإجبار على هذه الطريقة إذا انتشر الوباء في بلد معين، أو اقتضته المصالح العامة. ولكن يجب الحفاظ على نتائج المسح وعدم إظهارها إلا بقدر ماتقضيه الضرورة أو الحاجة الملحة، وذلك حماية لأسرار الناس التي هي مقصد من مقاصد الشريعة.

ج. حكم تغيير الخلقة:

أما عن حكم تغيير الخلقة عن طريق العلاج الجيني، فقد تناول الفقهاء قديما وحديثا موضوع تغيير الخلقة، أو تغيير خلق الله من خلال عمليات التجميل، وإزالة العيب أو الخلل البدني المسبب للإيذاء ماديا ومعنويا. وقد صدر قرار من الندوة الثالثة للمنظمة الإسلامية للعلوم الطبية ينص على ما يلي:

1. الجراحات التي يكون الهدف منها علاج المرض الخلقي والحادث بعد الولادة لإعادة شكل أو وظيفة العضو السوية المعهودة له وهذا جائز شرعا، ويرى الأكثرية أنه يعتبر في حكم هذا العلاج إصلاح عيب أو دمامة تسبب للشخص أذى عضويا أو نفسيا.

2. لاتجوز الجراحات التي تخرج بالجسم أو العضو عن خلقته السوية، أو يقصد بها التنكر فرارا من العدالة، أو التدليس، أو بمجرد اتباع الهوى.

3. ما ظهر في بعض المجتمعات من جراحات تسمى عمليات تغيير الجنس استجابة للأهواء المنحرفة حرام قطعا، ويجوز إجراء عمليات لاستجلاء حقيقة الجنس في الجنس.

ولكن هناك فرق بين ذلك التغيير الحاصل على بعض أجزاء البدن والتغيير عن طريق العلاج الجيني، فالأول يتم عن طريق إجراء عمليات تجميلية واقعة على الأعضاء المصابة بالأفة أو القبح، أما العلاج الجيني فيتم عن طريق التحكم في المصادر المتحكمة والأجهزة المتحكمة في الأعضاء، والمسؤولة عنها شكلا ولونا وكيفا وكما حسب سنة الله، وذلك بالتدخل في الجينات، أو الاستئصال أو التبديل بين جزئياتها. ولكن هذا الفرق غير مؤثر في عموم الحكم الخاص بتغيير الخلقة، ومن هنا نقول:

أولا. إن أي علاج جيني يستهدف علاج الجينات المريضة والمشوهة لإعادتها إلى شكل أو وظيفة العضو السوية المعهودة له جائز شرعا، وكذلك العلاج الجيني الذي يستهدف إصلاح عيب أو دمامة تسبب للشخص أذى عضويا أو نفسيا.

ثانيا. لايجوز العلاج الجيني الذي يستهدف خروج الجسم أو العضو عن خلقته السوية.

ثالثا. لايجوز تغيير الجنس، أو اللون، أو الشكل، لأنها من آيات الله تعالى التي تقوم على الحكم والتوازن والموازنات والسنن الربانية.

ومسألة التغيير في خلق الله بين الله تعالى في القرآن الحكيم أنها من فعل الشيطان وأوليائه، حيث قال تعالى: "إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله (النساء:119.117)، كما قال تعالى: "فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون" سورة الروم/الآية:30.

ولكن المفسرين اختلفوا في تفسير التغيير والتبديل، حيث قال الإمام الرازي: "وللمفسرين ههنا قولان: الأول: إن المراد من تغيير خلق الله تغيير دين الله وهو قول سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، والحسن، والضحاك، ومجاهد، والسدي، والنخعي، وقتادة، وفي تقرير هذا القول وجهان: الوجه الأول: أن الله تعالى فطر الخلق على الإسلام يوم أخرجهم من ظهر آدم كالذر وأشهدهم على أنفسهم أنه ربهم وآمنوا به، فمن كفر فقد غير فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهذا معنى قول رسول الله (ص): "كل مولود يولد على الفطرة..." (متفق عليه) والوجه الثاني: أن المراد من تغيير دين الله هو تبديل الحلال حراما، أو الحرام حلالا.

وأما القول الثاني: حمل هذا التغيير على تغيير أحوال كلها تتعلق بالظاهر، وذكروا فيها وجوها مثل الوصل، والوشم، والإخصاء، وقطع الآذان، وفقء العيون، والتخنث، أو جعل الأنعام بحائر وسوابق، مع أن الله خلقها لتؤكل وتركب، ثم قال الرازي: "اعلم أن عمدة أمر الشيطان إنما هو بإلقاء الأماني في القلب، وأما تبتيك الآذان وتغيير الخلقة فذاك من نتائج الأماني في القلب ومن آثاره"، ولذلك قال الله تعالى في الآية اللاحقة مباشرة: "يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان إلا غرورا" سورة النساء/الآية:120.

وقال ابن عطية: "قال ابن عباس، وإبراهيم، ومجاهد، والحسن، وقتادة وغيرهم:أراد: يغيرون دين الله، وذهبوا في ذلك إلى الاحتجاج بقوله تعالى: "فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله" سورة الروم/الآية:30، أي لدين الله، والتبديل يقع موقعه التغيير، وإن كان التغيير أعم منه"، ثم ذكر آراء أخرى منها أن التغيير في الشكل والهيئة مثل الإخصاء، والوشم، ومنها جعل المخلوقات آلهة تعبد مع أنها خلقت لينتفع بها.

وقال في الآية الثانية: "الذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة (فطرة الله) أنها الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدودة مهيأة لأن يميز بها مصنوعات الله تعالى، ويستدل بها على ربه جل وعلا، ويعرف شرائعه، ويؤمن به، فكأنه تعالى قال: أقم وجهك للدين الحنيف، وهو فطرة الله الذي على الإعداد له فطر البشر، لكن تعرضهم العوارض".

وقد فسر الإمام البخاري قوله تعالى :"لاتبديل لخلق الله" بدين الله، والفطرة بالإسلام، ثم بين بأن هذا هو تفسير الرسول (ص)، وذلك في صحيحه، كتاب التفسير، باب: "لاتبديل لخلق الله": لدين الله...، والفطرة: الإسلام، ثم روى بسنده عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال : "مامن مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها بدعاء ثم يقول : "فطرة الله التي فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم"(رواه البخاري).

والراجح أن تفسير الآية الثانية هو ماذكره البخاري وغيره من أن المراد بخلق الله دين الله الذي فطر الناس عليها، حيث فسره الرسول (ص) بذلك، والسياق يدل على ذلك.

والراجح في تفسير الآية الأولى: "فليغيرن خلق الله"سورة النساء/الآية:119 هو يشمل المعنيين أي التغيير في فطرة الدين، والتغير في الشكل الطبيعي للإنسان والحيوان، وأنه على ضوء المعنى الأخير يكون التغيير في الشكل الطبيعي، وهو أيضا يمثل الفطرة السليمة، وقد وضع ابن عطية معيارا رائعا للتغيير المباح، والتغيير غير المشروع فقال: "وملاك تفسير هذه الآية أن كل تغيير ضار فهو في الآية، وكل تغيير نافع فهو مباح".

فعلى ضوء ذلك أن أي تغيير أو تبديل في الجينات، أو ما يترتب عليه من آثار إن كان في حدود العلاج أو منع المرض، أو إصلاح الخلل، أو العيب وعدم تغيير الشكل الفطري فهو جائز، وإن كان فيه عبث بالجينات، أو تغيير للهيئة، أو الشكل واللون، والطول والقصر فهو محرم.

وكل هذه الأحكام خاصة بالعلاج الجيني الجسدي الذي يكون في المستوى الأول، حيث تتم معالجة أعراض المرض للفرد نفسه دون التعرض للأجيال التالية.

والمستوى الثاني للعلاج هو أن يتم العلاج في جينات داخل خلايا مشيجية، ومن هنا يمكن أن ينتقل العلاج إلى الأبناء، فهذا العلاج غير جائز شرعا لما فيه من غموض وعدم معرفة بالنتائج التي تترتب عليه، ولما يمكن أن يترتب عليه من عواقب وخيمة، سواء كانت من النواحي الأخلاقية، وذلك حتى الوصول إلى آلية يمكن أن تعرف بها آثارها الإيجابية أو السلبية.

ولكن إذا توصل العلم إلى منع الأضرار والآثار السلبية على الإنسان والأجيال اللاحقة، فإنه لايمكن الاستمرار في منع أو حظر هذا النوع من المعالجة شرعا. فالمنع يدور مع الضرر المحقق، والجواز يدور حول المصلحة ودرء المفسدة.

ومع ذلك فلا أرى مانعا من إجراء التجارب على الحيوانات إذا كان هناك أمل في الوصول إلى تحقيق نتائج إيجابية، لأن الكون كله مخلوق لخدمة الإنسان ومسخر له، ولكن بالضوابط الدينية والأخلاقية، وبما لايترتب عليه ضرر أكبر بالإنسان والبيئة. هذا والله أعلم.

■ عن موقع: إسلام أون لاين. نت

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1008
السنة 36
الجمعة 19 ذو الحجة 1423 هـ
الموافق 21 فبراير 2003 م
المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس
مدير النشر:
إدريس كرم
رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني
التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي
الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348
عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma
الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -
الرباط
التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.
ترتيب المواد لا يخضع إلا
للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد 1008 الجمعة 19 ذو الحجة 1423 هـ .الموافق 21 فبراير 2003م

# الشذوذ الجنسي وأثره على المجتمع

الدكتور لطفي الحضري

لقد ساعدت الحركة النسوية في فرنسا عن قصد أو عن غير قصد في تطور الحركة التي تدعو إلى الاعتراف بالشذوذ الجنسي. إذ يذهب بعد الباحثين بان هذه الحركة النسوية غيرت رؤية المجتمع لمفهوم الذكورة. وجعلت من الجنس هو المحرك الأساسي للعلاقات الاجتماعية ، بل دافعت عن التحرر الجنسي بكل مشاربه، وهذه الدعوة استفاد منها الشواذ للإعلان عن الحرية الجنسية المطلقة. والأغرب من هذا وان الشواذ استفادوا أيضا من " الجمعيات والأحزاب البيئية" إذا أصبح مفهوم البيئة مرتبط بمفهوم الطبيعة، بمعنى أن يعيش الإنسان مع الطبيعة وعلى طبيعته. فأصبح الشواذ يصيغون هذا المفهوم للطبيعة حسب فلسفتهم إذ هم الذين يعيشون طبيعتهم برغبتهم المنحرفة، بمعنى أن تصرفهم طبيعي عادي سوي.

فالطبيعي والطبيعة أصبحا يقدمان لتبرير التوجه الإنحرافي.

## تصنيف الانحراف

في المرحلة الأولى كان الأخصائيون يعتبرون الانحراف الجنسي مرضا يجب علاجه واجتماعيا يجب مقاومته ، ثم في المرحلة الثانية أصبح الأخصائيون يتعاملون مع هذا الانحراف حسب رغبة الشاذ، بمعنى أن من أراد أن يعيش بانحرافه فله ذلك ومن أراد أن يعالج نفسه فله ذلك. والآن نعيش مرحلة ثالثة أصبح فيها الأخصائيون يتصرفون تحت طائلة القانون وأصبحوا يقولون بأن الشذوذ ليس مرض و أن لهؤلاء نفس الحقوق كإنسان وبشر.

وهكذا لم يعد يعتبر الشذوذ خللا وظيفيا ونفسيا . فقامت الجمعية العالمية للطب النفسي بإزالة مفهوم اللوطية من قاموس الطب النفسي ( DSIII) الذي يعتبر مرجعية عالمية في هذا الميدان، وأصبح بهذا المقتضى لا يدخل في تصنيف الأمراض النفسية . بل وذهبت بعض الجمعيات إلى المطالبة بتدريس ثقافة الشواذ في المدارس، وتأسست في أمريكا شعبة سوسيلوجيا الجنسية المثلية في كل من جامعة ديوك وبير كلي وجون هوبكينز.

وهذه خطورة وضع القوانين حسب أهواء الناس ، وهذه هي خطورة التوجه العلماني ، أما الذين يتخذون من الإسلام مرجعيتهم الأسمى في الحياة فليس لهم إلا قانونا واحدا وهو القانون الإلهي الذي يعتبر الشذوذ الجنسي خروجا عن القواعد الطبيعية ، ويجب تطبيق الحدود التي حدها الله.

وينقسم الانحراف الجنسي إلى وجهين: مع من يمارس وكيف يمارس.

الوجه الأول: مع من.

ممارسة الجنس مع الأطفال

ممارسة الجنس مع الكهول

ممارسة الجنس مع الموتى

زنى المحارم

ممارسة الجنس مع الحيوان

ممارسة الجنس مع أي شيء يوحي برغبة جنسية

ممارسة الجنس مع شخص من نفس الجنس

ممارسة الجنس مع مع المرأة أو مع رجل

La pédophilie

La gérontophilie

néerophilie

l'inceste

La zoophilie

Fétichisme

Homoxesualité

Bisexuel

الوجه الثاني: كيف

ممارسة الجنس عن طريق إلحاق الألم بالغير

ممارسة الجنس عن طريق إلحاق الألم بالذات

إحساس باللذة الجنسية عبر إظهار المفاتن

إحساس باللذة الجنسية عبر النظر إلى الأفلام والمجلات الجنسية

إحساس باللذة الجنسية عبر علاقة عشيقة بمخرج التبرز

إحساس باللذة الجنسية عبر عشق البول

Sadisme

masochisme

exhibitionnisme

voyeurisme

Coprophilie

Ondinisme/urolag nie

الأسباب المؤدية للشذوذ الجنسي

## أسباب بيولوجية

حاول بعض علماء الشواذ إظهار أن هناك أسبابا بيولوجية للشذوذ الجنسي بحكم وجود موروث جيني شاذ يسمى (xq82) ولكن هذه الأبحاث لم تؤكد بل أدحضت من طرف العلماء آخرين إذ لم يجدوا هذا الموروث الجيني.

سنة 1965 قام باحثان: Levine و Harris بحقن فأرتين بعد ولادتهما بهرمونات (حاثي) ذكورية وحين وصلوا سن البلوغ أظهروا تصرفات جنسية ذكورية، وكما فعلوا عكس ذلك مع فأرين ذكور . إلا أن التجاوب لم تظهر أي تطابق مع الجنس البشري حيث لن تظهر الأبحاث العلمية أي علاقة بين الاضطراب الهرموني والشدود الجنسي ، ويعلل الباحثون أن التجارب التي تنجح على الحيوانات سببها الفرق البنيوي في الجينات بين الإنسان والحيوان ، حيث أن في الحيوانات استعدادات طبيعية تسهل لها هذا الدور لأن في الحيوانات نوع ليس بذكر ولا بأنثى، وهناك نوع يتحول من ذكر إلى أنثى والدليل على عدم جدوى الأبحاث حول الهرمونات الذكورية أن علاج اللوطية بالهرمونات لم يعطي أي نتيجة، وتبقى التركيبة النفسية هو محور هذا الاضطراب.

## أسباب فلسفية:

الفلسفة المادية ، وتدعو للحرية المطلقة، وخاصة حرية الجسد، فيصبح بهذا المعنى الشخص حرا في جسده يفعل ما يشاء به ويعطيه لمن يشاء . فهي فلسفة النزوع للشهوة كيفما كانت وكما أراد الفرد. إذن فمنطق هذه الفلسفة وأهدافها تخالف المنطق وأهداف الدين الإسلامي.

## أسباب عائلية : ثلاث أنواع:

- نبذ الطفل ، وهذا يظهر جليا حينما يظهر الآباء عدم اكتراثهم لمشاكل الطفل ، وحتى حينما ينجح الطفل في المدرسة مثلا ، فهؤلاء الآباء لا يتفاعلن مع طفلهم مما يحدوا به للبحث عن من يهتم به حتى عن طريق العلاقات الجنسية الشاذة. ( الطفل الغير المرغوب فيه).

- الحلات التي يشار فيها إلى الطفل على أنه سبب المشاكل وشقاء الأبوين وخاصة حينما يشار إليه بالكلام من مثل:" أنت السبب ، لو لم تكن موجودا لطلبت الطلاق" وجواب الطفل قد يأتي على الشكل التالي " أنا غير موجود" فإحساسه بعدم الوجود ، يدفعه إلى سلوكيات شاذة).- كراهية الأب في حالة الطلاق: ومن ثم كراهية الرجل بصفة عامة فهذا الموقف ينحو بالطفل إلى البحث عن طريق ترضي بها الأم على الرجال بحكم أنه يحمل أسسا ذكورية. ونتيجة هو تخلص الطفل من مركباته الذكورية ، بالإتيان بسلوكيات أنثوية، ومع مرور الوقت بممارسات شاذة.

## أسباب إجتماعية:

-1 الشعور بالنقص: يدفع الشعور بالنقص الطفل إلى محاولة تعويض هذا النقص من شخص غير مرغوب إلى شخص مرغوب فيه. وليصبح مرغوبا فيه، لا يجد إلا الشواذ الذين يمارسون الجنس، كما ذكرت آنفا مع كل شيء، فإذا وجدوا ضحية صغيرة مثل الطفل فإنهم لا يتهاونون البتة في إتيانه ويصبح الطفل نتيجة هذه العلاقة شاذا يعني مرغوبا فيه.

## تأثير الشذوذ الجنسي على المجتمع

خطورة الشذوذ الجنسي تتجلى في العلاقات الاجتماعية وفي حالة الخوف والرهبة التي يثيرها، لأن عديد من الشواذ يعانون من رغبة جامحة تجعلهم في حالة هيجان ، يبحثون مع من يمارسون شذوذهم ولو اقتضى الحال استعمال القوة والعدوانية. هذا العنف الجنسي يجعل المجتمع يعيش في الخوف وعدم الثقة.

وفي هذا الإطار إذا تسامح المجتمع مع أي نوع من الانحراف الجنسي فإن هذا التسامح يتطور ليطالب الشاذ بمزيد من التسامح، فاللواطية التي تعتبر من أبشع صور تدهور المجتمع أصبحت في الغرب مقبولة ويحاول بعضهم أن تتسامح حتى الدول الإسلامية مع هذا الإنحراف ، ولتصبح هذه المجتمعات التي لا تقبل حاليا بالشذوذ أو الانحراف على الأطفال ، بقبول هذا المعطى ، لأن هناك العديد من الناس في أوروبا وأمريكا من ينظر لهذا الشذوذ ويعتبره عاديا ، ولدى يجب القبول بعلاقة جنسية بين الرجل والطفل . (La pé-dophilie) .

إذن حينما تكون العلمانية المؤسسة لقوانين الدولة، لا غرابة أن يصبح هذا التنظير واقعا قانونيا، ولكن حينما يكون واضع القوانين هو الله فهذه القوانين لا تتغير ولكن على البشر أن يغيروا أنفسهم والله طيب لا يحب إلا الطيب.

وهكذا فخطورة الشذوذ الجنسي هو أنه يفسح المجال لجميع الممارسات ويصبح الانحراف في كل شيء ويفقد المجتمع أية مرجعية فلسفية أو روحانية، إذ تصبح فلسفة المجتمع هي فلسفية النزعة الشهوانية الحيوانية في قلب المجتمع . وتنحو به إلى إسقاط بل ورفض كل القوانين الإلهية بحكم أن الله لا يتدخل في السياسة . إذن فالانحراف الجنسي يحارب بصفة غير مباشرة الحدود الإلهية. والحدود القرآنية، فهو يضرب في عمق الأمة الإسلامية التي تعتمد في مرجعيتها القانونية والفلسفة على الإسلام . فقبول الشذوذ الجنسي هو قبول بمحو الآيات القرآنية التي تتكلم على قوم لوط.

## المخطط

المخطط الخطير للشذوذ الجنسي ليس هو قبول أو عدم قبول هذا الانحراف بل هو في عمقه ضرب إحساس الأمة الإسلامية في انتمائها للإسلام ومحو القوانين والحدود الإلهية. بل هو مخطط لقتل الثقة في الله والقرآن، بمعنى أن قبول الشذوذ الجنسي على المستوى الاجتماعي والقانوني يقتضي بعد برهة القبول بهذا التمثل الاجتماعي للشذوذ كمرحلة التطبيع والترسيخ. ثم خلق صراع نفسي بين الحدود الإلهية والقوانين الوضعية، هذا الصراع النفسي إما أن يؤدي إلى مرض الأمة في حالة عدم تبلغها على هذا الصراع أو كفرها في حالة قبولها لهذا الصراع ، ولن ينفلت منه إلا القليل إلا من رحم الله.

قد أثبتت جميع الدراسات في علم النفس التواصلي أن التناقض بين توجهين يسفر عادة على مرض نفسي مزمن قد يؤدي بالمجتمع إلى مستوى من التفسخ والانتحار البطيء. وفي هذا الإطار أضع سؤالا محوريا : وهو من يخدم تفسخ المجتمعات الإسلامية؟.

يتبع